HARLEQUIN

روايات احلام

دمعة تضيء القلب

روبين دونالد

www.elromancia.com
مرمورية

دمعة تضيء القلب

كان الأمير لوكا أوف داسيا سيفقد الكثير إذا اكتشف أحد سره. وهو لا يثق بشيء أو بأحد، وخصوصًا بالمشاعر التي تثيرها فيه الكسا ميتون. قد تكون جميلة، لكنها خطيرة، ولا وقت لديه ليبعدها عن الجزيرة النائية حيث التقيا وجهًا لوجه.

أمر لوكا بحجز الكسا بهدف إرضاء مشاعره المتضاربة... سيبقيها بأمان خلف أبواب موصدة... فقط ليحافظ على سره؟ أم لأسباب أخرى؟

روبين دونالد

تعيش «روبين» حتى الآن في «نورثلاند» في «نيوزلند».

أقامت أولاً في مزرعة والدها المنتجة للأجبان والألبان، ثم انتقلت إلى «باي أوف أيلندز» وهي منطقة ذات جمال طبيعي أخاذ، حيث تعيش هناك مع زوجها وكلبها. استقالت من مهنة التدريس حين اكتشفت أنها تفضّل عليها كتابة الروايات. والآن حين لا تكتب «روبين» فهي تقرأ أو تعتني بحديقتها أو تسافر أو تكتب الرسائل لولديها الراشدين وأصدقائها.

www.rewity.com

١ ـ ابتسامة قاتلة

اندفعت المسؤولة عن تنظيم الحفلات في الفندق إلى داخل حجرة تبديل الملابس العاجية اللون الخاصة بالموظفين، والتعب باد على محياها. لكن تجهم وجهها هدأ بشكل مفاجىء ما إن رأت المرأة هناك.

صاحت: «الكسا، الحمدلله، خشيت ألا تتمكني من المجيء. هذه الأنفلونزا التعسة قد أصابت معظم النادلين الذين يملكون تصاريح بالدخول».

ردت الكسا وهي تلبس الجوارب: «أهلاً كارول، لم أكن أعرف أن لدي تصريح بالدخول».

نظرت إليها كارول بقليل من الخجل: «بوجود كل هؤلاء المصرفيين ذوي النفوذ في أوكلاند والذين يحضرون هذا المؤتمر، أصر المدير على أن ندقق بهوية كل شخص، من دون أن نذكر المسؤول عن أمن أمير داسيا والذي يكاد يقودنا إلى الجنون».

ثم أردفت: «ليس معك ما يثير الشبهات، بالتأكيد».

كان في صوتها شيء ما أنذر الكسا: «هل ذكرت أنني مصورة فوتوغرافية؟».

علت وجه كارول المغطى تماماً بالمساحيق تكشيرة: «كلا، فبسبب جنون الارتياب الذي يسود هذا المكان، رأيت أنّ لا أمل لديّ في إقناع حارس الأمير بأنك مصورة صاعدة، ولست واحدة من أولئك المصورين البغيضين الذين يلاحقون الشخصيات المشهورة!».

قبل خمس سنوات، كانت كارول تملك أفضل مطعم في المدينة، واستخدمت ألكسا بدوام جزئي لمساعدتها. كانت ألكسا حينها طالبة في سنتها الجامعية الأولى، من دون عائلة أو مال، وكانت ممتنة جداً للوظيفة. وهي لا تزال تسر بمساعدة رئيستها السابقة عند الضرورة.

انتصبت ألكسا لترتدي تنورة سوداء طويلة، وبلوزة بيضاء كلاسيكية. وقالت بمرح: «إن رجال الأمن يأخذون أجورهم ليكونوا يقظين».

- إنه ليس سيئاً جداً، كما أعتقد.

وراحت تتفحص الكسا بعينين محترفتين: «ظننت أنك لن تقبلي بعمل مؤقت».

- ما زلت أدخر المال من أجل رحلتي إلى ايطاليا للبحث عن جدي.

- أخبريني عندما تقررين السفر لكي أشطب اسمك من جدول الخدمة.

كانت أصابع ألكسا الطويلة على القماش وهي تزرر القميص، ضحكت قائلة: «لن يكون ذلك قبل شهرين. لكن حتى لو كنت أملك بطاقة السفر، فإني أتلهف لفرصة رؤية الدوق لوكا أوف داسيا عن قرب».

فتحت عينيها الرماديتين إلى أقصى اتساعهما وحركت رموشها السوداء الطويلة عدة مرات وتكلفت الابتسام: «إنه ليس ضيفاً اعتيادياً لبلد عادي كنيوزيلندا، لذا فقد تكون هذه فرصتي الوحيدة لإبداء إعجابي بصاحب الوجه البهي الذي تملأ صوره ملايين المجلات والجرائد».

انحنت كارول إلى الأمام، وانخفض صوتها ليصبح أكثر حميمية: «إسخري بقدر ما تشائين، لكنه حقاً في غاية الجمال وبشكل خطير».

- فلنأمل أن أتمكن من السيطرة على رهبتي وافتتاني بما يكفي لئلا أوقع عليه فطائر القريدس.

آه، لو أمكنني العودة إلى سن الثالثة والعشرين، فكرت كارول، فمن الرائع أن تبدو في الثالثة والعشرين من جديد! مع أنها لن تتمتع أبداً بمثل جمال ألكسا، بلون بشرتها العاجي الدافئ، وشعرها النحاسي. فهذه الشابة تتوهج كزهرة غريبة حبيسة في غرفة ضيقة.

صححت لها كارول بخفة: «ليس هناك فطائر، انتهت موضتها مع الخمسينات. هل تملك الجامعة الإيطالية أيّ معلومات عن جدك؟».

هزت ألكسا كتفيها: «لا شيء على الإطلاق».

وبدأت بتجديل شعرها الكثيف ببراعة ورشاقة، مضيفة: «إما أنهم لا يريدون تقديم المعلومات، وإما أن لغتي الإيطالية سيئة جداً فلم يتمكنوا من فهم رسالتي!».

ردت كارول مبدية تعاطفها، وهي تلقي نظرة سريعة على لوح تحمله: «هذا مؤسف!».

ثم رفعت نظرها لتضيف: «بالمناسبة، مع أنه زير نساء بالتأكيد، إلا أن لوكا أوف داسيا لم يعد دوقاً. فبعد وفاة والده منذ سنة أو ما يقاربها، أصبح أمير داسيا. إنه السليل الوحيد للعائلة الملكية القديمة باغانون».

راحت ألكسا تبحث في حقيبتها عن أحمر الشفاه: «كيف أرد عليه إذا وجه الكلام إلي؟».

تنهدت كارول: «في المرة الأولى خاطبيه بصاحب السمو الملكي، وبعد ذلك سيدي».

تنهدت كارول ثم أردفت: «هذا لا يبدو عادلاً أليس كذلك؟ أن يمتلك رجل واحد كل شيء.. السلطة، المال، الجمال... والذكاء أيضاً».

ضحكت ألكسا: «ذكاء؟ دعك من هذا، إنه رجل مستهتر».

- لم يكن ليترأس أحد أهم المصارف في العالم لو لم يكن ذكياً.

ردت ألكسا بخشونة: «والده هو الذي أسس المصرف، ولهذا السبب وليس لأي سبب آخر تولى هو هذا المنصب».

أخرجت ألكسا أحمر الشفاه وقالت بخشونة: «إذا كان مروجو الشائعات في الصحف ومتتبعو أخبار الأمراء في العالم على حق، فإن الأمير لا وقت لديه ليكون مصرفياً مبدعاً، فهو منشغل جداً بالخروج مع النساء الفاتنات من كل أنحاء العالم وتناول العشاء معهن ومعاشرتهن».

ابتسمت كارول ابتسامة عريضة: «انتظري فقط إلى أن تريه. إنه... رائع، رؤيته تسبب الارتباك».

ـ خلال السنوات العشر الأخيرة، لم أفتح مجلة أو جريدة إلا وبهرتني فيها صوره. أوافقك... لا يحق له أن يكون وسيماً إلى هذا الحد... هذا طبعاً إذا كنت تفضلين الرجل الأسمر، ذا البشرة الداكنة والمعروف بأنه زير نساء.

اعترضت كارول بحدة: «زير نساء... إنه ليس كذلك. ثم أن المصورين لا يعطونه حقه. فأيّ كان تعريف الجاذبية، فهي تتدفق منه بشكل يسبب الاضطراب».

ثم تابعت: «بالفعل تقدم مصوّرون من كل أنحاء العالم بعروض مغرية جداً لعدد كبير من العاملين هنا شرط التقاط صور له».

ـ كنت أعلم أنّ عليّ إحضار الكاميرا... كان بإمكاني إخفاؤها داخل قميصي، على طريقة جيمس بوند.

وأضافت ألكسا وهي تمرر أحمر الشفاه على شفتيها المكتنزتين: «صورة واحدة له وهو يحتفل مع أولئك المصرفيين، ستغطي على الأرجح مصاريف رحلتي إلى أوروبا».

ـ لست ضخمة بما يكفي لتخبئي أي شيء داخل قميصك. أنت بارعة لكنك لست بدينة، هذا ما أنت عليه. هل أحضرت معك كاميرا؟

هزت ألكسا رأسها: «لم أجد ذلك مناسباً».

أجابت المرأة الأكبر سناً: «أنت على حق».

ثم أضافت بعد تفكير: «أمير داسيا ليس بالرجل الذي أرغب بالتصادم معه».

كانت ألكسا لا تزال تضع أحمر الشفاه، حين توقفت يدها فجأة وهي تنظر في عيني كارول القاسيتين من خلال المرآة: «إنه أمير طائش ومغرور، أليس كذلك؟ ومعتد بنفسه؟».

ـ إنه أبعد ما يكون عن ذلك، بحسب ما يقوله أولئك الذين تعاملوا

معه. والموظفون يقولون إنه لطيف جداً.

ـ ولكن... ماذا؟

أنهت ألكسا وضع أحمر الشفاه وأعادت الغطاء إلى مكانه، وراحت تنظر إلى صورتها في المرآة. ثم رفعت بصرها وقالت بسرعة: «لا تحبيني على ذلك... أنا آسفة للسؤال. أعرف أنه عليك أن تكوني متكتمة».

شردت كارول بأفكارها: «إنه من الرجال الذين لا يمكن تجاهلهم، فهو ليس وجهاً وسيماً وجسماً رائعاً وحسب، بل ما ينبع من داخله».

أدارت ألكسا رأسها، فتلك الجدّية غير الإعتيادية في حديث المرأة الأكبر سناً قد أثارت فضولها: «ما هو هذا الشيء؟».

ـ إنها الجاذبية على ما أظن. رأيته يتحدث إلى المدير، ليشكره على الترحيب الذي لاقاه... لا شك أنه قام بهذا النوع من المجاملات آلاف المرات، لكن لم يظهر عليه أي أثر للضجر.

رفعت ألكسا حاجبيها: «إن أولاد العائلات المالكة يتدرّبون منذ الطفولة على ممارسة هذا النوع من العلاقات العامة. إنهم على الأرجح يتلقون دروساً في كيفية إظهار سحرهم وكيفية التحكم بعضلات وجوههم».

ـ أعلم ذلك، أراهن بلآلئي أنه ليس مجرد رئيس صوري أرستقراطي. بدا لي أن طاقة جيّاشة تتأجج تحت ذلك القناع الاجتماعي العابث. يبدو أنه يتحلى بالسلطة والنفوذ.

ـ كلامك هذا جعله يبدو مثيراً للاهتمام.

هزت كارول كتفيها: «لا يثير هذا الرجل اهتمامك وحدك للأسف! إذا بدأ أحدهم بطرح الأسئلة أو بطلب معلومات عن تحركاته، فأبلغي رجال الأمن بذلك».

ظهر الاشمئزاز على وجه ألكسا، ووضعت أحمر الشفاه داخل الحقيبة: «سوف أفعل».

ألقت كارول نظرة على ساعتها: «النجدة! يجب أن أذهب.. شكراً لك

مرة أخرى لمساعدتي في هذا العمل الشاق. يا إلهي.. من الأفضل أن أذهب! إذا واجهتك أيّ مشكلة فابتسمي... ابتسامتك قاتلة».

أجابتها ألكسا بشيء من الغرور: «لن تنفع ابتسامتي إذا أفسدت بزّة أحد الموجودين، بخاصة إذا حملت توقيع أحد كبار مصمّمي الأزياء. لقد أمضيت فترة ما بعد الظهر كلها أتمرن على عبارات الاحترام».

ارتجفت كارول: «لقد اكتمل منذ خمس دقائق الطاقم الذي سيقوم بخدمة المأدبة. صلّي كي يبقى العدد كافياً! تعالي، سأرافقك إلى تحت، فقد تجدين الفرصة لكي تستخدمي لغتك الإيطالية».

فتحت الباب المؤدي إلى الممر مضيفة: «يبدو أن لغة إمارة داسيا قريبة جداً من الإيطالية».

تعلمت ألكسا اللغة الإيطالية في المدرسة، ثم في الجامعة بعد وفاة والديها، تحضيراً لليوم الذي ستذهب فيه إلى إيطاليا للبحث عن قبر جدها.. فربما تجد لها أقارب هناك.

لن تكون بالطبع موضع ترحيب لأنها حفيدة غير شرعية، لكن معرفتها بأنها ليست وحيدة في هذا العالم ستحررها من القلق والشعور بالوحدة الذي تحسه في داخلها. أثناء الغليان الذي ساد الدقائق الأخيرة للتحضيرات، راحت ألكسا تتمرن على إظهار ابتسامة احترام محايدة، قبل أن تحمل بأناقة صينية عليها مقبلات محضرة من المحار الطري اللذيذ. حملتها بثبات وبدأت رحلتها داخل الغرفة، حيث يتواجد كبار رجال الأعمال والمال وأصحاب النفوذ في العالم.

راحت الكسا تتنقل ببطء، محاذرة أن يلهيها اهتمامها بملابس النساء عن القيام بعملها بشكل جيد.

كانت تحدّق خفية بإحدى النساء والتي ترتدي ما بدا لها أنه معطف ضيق مصنوع من قماش قرمزي شفاف، عندما أمرها صوت نسائي من خلفها: «أيتها النادلة، إلى هنا من فضلك».

لحسن الحظ، تمكنت ألكسا من إظهار ابتسامة خفيفة، وهي تلتفت إلى

امرأة فاتنة أنيقة المظهر، تبدو عليها مظاهر النفوذ.

سألتها المرأة: «هل هذا مصنوع من المحار؟».

ابتسمت ألكسا برزانة وحيادية وهي تقدم لها الطبق: «نعم إنها كذلك».

ابتسمت المرأة للرجل الواقف أمامها وقالت له بنبرة مختلفة تماماً: «جرّب هذه سيدي... إنها نوعية نيوزيلندية فريدة. نحن نعتقد أن المحار عندنا هو الأفضل في العالم».

أجابها صوت رجولي عميق بلهجة واثقة إنما لا تخلو من الكياسة: «هذا ادعاء كبير».

استرقت ألكسا نظرة من خلال رموشها إلى صاحب الصوت. إنه يرتدي بذلة سهرة في غاية الأناقة تظهر كتفين عريضتين وورکين نحيلين. إنه ساحر الجماهير، صاحب أكبر عدد من الصور، الأمير لوكا باغاتون أوف داسيا. هكذا فكرت ألكسا بشيء من الاستهزاء. إنه وسيم تماماً كما يظهر في الصور!

تسمات وجهه المنحوتة ذات تأثير فوري، كذلك فمه الذي يجمع الجمال والقوة والقدرة الهائلة على ضبط النفس.

في تلك اللحظة التقت عيناها بعينيه الذهبيتين بلون النار المتجمدة، اللتين كانتا تنظران إليها بتفحص عديم الرحمة.

جمدت الكسا في مكانها وشعرت وكأنها تخضع للقياس والحكم. بدت ضعيفة وراحت الصينية ترتجف بين يديها. لقد كانت كارول محقة في وصفها للهالة القوية المرعبة التي تميّز هذا الرجل، والتي تفرض سيطرتها الرجولية على الآخرين. إن الأمير لوكا أوف داسيا رجل ساحر.. إنه أمير الظلام المدمّر.

راح قلبها ينتفض داخل صدرها، فأحكمت ألكسا قبضتها على الصينية لتحملها بثبات، بينما كانت يده الأنيقة الطويلة تمتد لتناول بعض المقبلات.

قال بصوت متزن، يحمل نبرة ساحرة لا مبالية: «شكراً لك».

مع أن ألكسا كانت تنوي الابتعاد من دون النظر إليه، إلا أن نظرة منها أفلتت باتجاهه، مما جذب انتباه تلك العينين الساحرتين فلمعت فيهما ومضة استهزاء، وكأن نوراً ساطعاً قد أضاء عمقهما الذهبي. وتحوّل تعبير وجه المحارب الجريء، أمير داسيا، إلى قسوة متحجرة.

قالت المرأة الأخرى بصوت حاد، قطع صمت ألكسا بشكل مروّع: «شكراً، هذا كل ما نحتاجه».

بابتسامة سريعة دون معنى ابتعدت ألكسا وخطت خطوتين لتقدم الضيافة إلى المجموعة التالية.

لم يقل لها أحد من قبل إن الجاذبية محرقة. هكذا فكرت بعد أن استعادت أنفاسها من جديد. يا للسخافة! لقد شعرت وكأن قوة الأمير الرائعة إلى حد مؤلم، امتدت نحوها وكأنها تطالب بها، ما جعلها تحس بأنها أصبحت تحت سيطرته وجعل الخوف يتغلغل فيها حتى الأعماق.

كانت تجاهد بيأس لتستعيد روحها المرحة، فراحت تأمر نفسها بألاّ تتصرف كالبلهاء. لقد نظر إليها ونظرت هي إليه. ولأنها شخص مفعم بالحيوية فقد تجاوبت مع أكثر الرجال روعة بين من صادفتهم في حياتها! شعرت بالارتجاف والتوتر، وظلت حواسها متنبهة لوجوده، فراحت تتجنب النظر إلى تلك الجهة، بينما هي تلبي طلبات الآخرين وتتنقل في أرجاء القاعة حيث تقام المأدبة.

في وقت لاحق، كانت تتجه إلى غرفة الملابس بعد أن انتهت مهمتها، عندما ظهرت كارول وقد بدت أقل تكدراً: «كانت المأدبة جيدة حقاً. كل شيء سار حتى الآن بشكل حسن».

ثم أردفت بملاحظة سريعة: «كيف وجدت الأمير؟».

ردت ألكسا محاولة استعادة نبرتها المرحة المعتادة، والتي فقدتها للتو: «إن لقب الدوق الكبير يناسبه أكثر، فهو مهيب جداً. من هي تلك المرأة التي ترافقه؟».

ـ تلك الشقراء الفاتنة؟ إنها ساندرا تشامب، وكيلة إحدى الوزارات،

يبدو أنها صديقة قديمة له.

ردت ألكسا متشدقة وهي تكبت دفعة شديدة من المشاعر البدائية التي لم تشأ أن تسميها حسداً: «قديمة؟ لا أظنها ستسر بسماع ذلك».

أطلقت كارول تكشيرة حادة ذات مغزى: «هل حذّرتك لتبتعدي عنه؟ أنا لا ألومها.. بل ستكون حمقاء إذا لم تحاول الحصول على فرصة أخرى معه. حسناً، ما رأيك أنت به؟».

أملت الكسا أن تتمكن من إخفاء مشاعرها المتطرفة بابتسامة ساخرة: «إنه رجل خرافي.. أحد أولئك الرجال المخيفين الخطرين الذين يظهرون في الحكايات».

ـ لقد ألقى خطاباً رائعاً بعد العشاء.. كان خطابه قصيراً لكنه ممتع ومثير بذكاء.

ـ آمل أن يكون قد دفع لكاتبه بسخاء.

فأجابت كارول وهما تستديران باتجاه المصعد: «يخيل إلي أنني سمعت تعبيراً ساخراً في ملاحظتك، ألا توافقين على النظام الملكي؟».

كيف يمكنها أن تقول إن الأمير لوكا أثّر عليها لدرجة أفقدتها السيطرة على تفكيرها؟ إن ذلك يبدو اندفاعاً طائشاً وسخيفاً، كالوقوع في الحب من النظرة الأولى.

هزت ألكسا كتفيها: «كنظام حكم، أعتقد أنه على الأرجح، في طريقه إلى الزوال. لكن من أكون أنا لأقول لأهل داسيا كيف عليهم أن يحكموا بلادهم؟ إذا كانوا يحبون أميرهم، فهذا أمر جيد، وأنا أعتقد أنه يقوم بأشياء حسنة من أجلهم عن طريق المصرف الذي يملكه».

قالت كارول بصوت ملؤه الرهبة، وهي تضغط على زر تشغيل المصعد: «يستعمل المصرف جواهر التاج كضمانة له».

تثاءبت ألكسا بعد أن أحست فجأة بالتعب وردت بغموض: «جواهر التاج؟ أجل، قد تذكرت.. أليس لديهم ثروة طائلة من الزمرد؟».

ـ ويغطي الأمير ما تبقّى من ثروته الخاصة.

توقف المصعد قبالتهما وانفتحت الأبواب، فسألتها كارول وهي تضغط زر التشغيل لتبقي الأبواب مفتوحة: «هل أحضرت سيارتك؟».

هزت ألكسا رأسها: «إنها في التصليح، فهي تثير ضجة غريبة».

- إذاً أطلبي سيارة أجرة.. واحتفظي بالإيصال لكي تستعيدي ما دفعته، فهم يدفعون لنا بدل الانتقال.

- سوف أمرره لك أو أرسله بالبريد. عمت مساءً.

نزلت ألكسا إلى الطابق السفلي، إلا أن نظرة واحدة إلى الردهة، جعلتها تغير رأيها بشأن محاولة أخذ سيارة أجرة من هناك.

كان الناس يتدفقون إلى الخارج، وسيارات الأجرة لا تكاد تصل إلى المكان حتى تغادره، والبوابون يتحركون بسرعة لتسهيل خروج الحشد. لم يكن ثمة داع للقلق... فإن أقرب موقف للسيارات يبعد فقط بضع خطوات، ويقع عند زاوية الشارع المضاء. وبما أن موقف السيارات التابع للفندق يقع في الشارع نفسه، فهذا يعني أن هناك ما يكفي من الزحمة والمارة ليكون السير فيه آمناً كلياً.

علقت ألكسا حقيبتها وخرجت، فشعرت برجفة خفيفة. كانت السماء قد أمطرت فيما هي تقدم الطعام اللذيذ للأغنياء وأصحاب النفوذ.

في الطابق السفلي حيث موقف السيارات، كان لوكا أوف داسيا يقف في الفناء المسيّج بجانب إحدى السيارات التي استأجرها له أحد مساعديه، وراح يصغي بلطف إلى رئيس جهاز أمنه.

قال ديون بإلحاح: «دعني على الأقل اتبعك في سيارة أخرى. فكل هذه المسألة لا تعجبني.. لماذا يريدون منك أن تذهب لمقابلتهم وحدك؟».

أجاب لوكا بهدوء: «لقد خاض هؤلاء الرجال حرباً يائسة في السنوات العشر الأخيرة... حرب قلبت الأخ ضد أخيه، والأب ضد ابنه. فلا أتخيل أن بإمكانهم بعد ذلك أن يثقوا بأحد».

إنه يتفهم سلوكهم هذا، فحياته أيضاً مبنية على عدم الثقة بالآخرين.

اعترض ديون مبدياً غضبه: «هذا ليس سبباً كافياً يجعلك تضع حياتك

بين أيديهم. لوكا، أتوسل إليك، فكر ثانية! إن والدك ما كان ليسمح لك مطلقاً بأن تقوم بمخاطرة كهذه».

- كان أبي يحكم على المخاطرات بطريقة تختلف عن طريقتك.

قال ديون ساخطاً: «كان والدك يخاطر بأي شيء من أجل داسيا. لكن هذا الأمر لا يتعلق بداسيا... هؤلاء الناس لا يمتون لك بصلة... فجزيرتهم الواقعة في المحيط الهادىء هي أبعد ما يكون عن داسيا. دعهم يتابعون حربهم التي لا طائل منها حتى الفناء».

ارتفع حاجبا لوكا، وجاء رده حاداً وفظاً حين قال: «بطريقة ما، أنا لا أجد الأمر بهذه البساطة، بغض النظر عن موقفي الحيادي الواضح، فلا بد أن يكون لديهم سبب لاختياري كوسيط بينهم وبين مناوئيهم».

- أي سبب يمكن أن يكون لديهم؟

- هذا ما أريد معرفته. هؤلاء الناس ليسوا متمردين.. إنهم أعضاء الحكومة المنتخبة لسانتا روزا، فلن يقوموا إذاً بقتلي أو اختطافي. وبغض النظر عن الدوافع الإنسانية، علي أيضاً أن آخذ بالاعتبار أن بلادهم تملك أضخم مناجم النحاس في منطقة المحيط الهادىء، هذا بالإضافة إلى المعادن الثمينة الأخرى، وإمكانية ازدهار القطاع السياحي.

قال ديون بغضب، وهو يعي تماماً أن الأسباب الإنسانية هي التي تدفع أميره للقيام بذلك: «لماذا أصروا أن يكون اللقاء في هذا الوقت المتأخر من الليل، وأن تكون وحدك؟».

- ربما لأنهم لا يريدون أن يفقدوا اعتبارهم. إذا قاد اجتماع الليلة إلى المزيد من المفاوضات اللاحقة بين الفريقين، وتمكنت من إقناعهم بتوقيع اتفاقية سلام أفضل بينهم، فإن مصرفنا يمكنه إعادة بناء مرافقهم الإقتصادية وتأمين الرخاء الإقتصادي لهم وأكون قد ساعدت بتعزيز اقتصادنا أيضاً.

ازداد عمق عبوس ديون أمام التصميم الواضح الذي ظهر في صوت أميره فقال فاقداً الأمل: «دعني أذهب معك، لن يعلم أحد أنني هناك».

أجاب لوكا بصرامة: «أنا أعلم. لقد وعدتهم بأن أكون وحدي، وأنا

www.elromancia.com

أعتزم احترام كلمتي».

نظر إلى الأسفل نحو الرجل الذي يعتبره صديقه وطلب: «عدني بألا تفعل شيئاً لكي تعيق هذا اللقاء».

التقت عينا ديون بعيني الأمير القاسيتين وهو يشعر بشيء من الألم النفسي: «أعدك».

قال ذلك وهو يشعر بالاختناق، ثم تراجع إلى الوراء ليفتح باب السيارة ليدخل الأمير إليها.

كان الوقت لا يزال مبكراً على اللقاء، كما أنه رجل غريب عن أوكلاند، فقرر القيام بجولة بالسيارة لاكتشاف الطريق من جهة، وتمضية الساعة المتبقية من جهة أخرى.

بدا الشارع الرطب مقفراً، إلا أن عينيه ضاقتا عندما شاهد امرأة تسير بخطوات واسعة باتجاه زاوية الشارع؛ وفجأة تدفق الأدرينالين في جسمه ما إن شاهد رجلين يلحقان بها، تلفهما عاصفة من الدخان كالهالة. كانا حريصين على عدم إثارة أيّ ضجة.. صيادان والفريسة أمام ناظريهما.

وضع لوكا يده على الزمور وضغط بقوة على دواسة البنزين. قفزت المرأة المطاردة وانطلقت مسرعة، وراحت تصرخ بأعلى صوتها، حتى أنه كان يسمع صراخها بالرغم من صرير الإطارات وضجيج محرك السيارة. في هذا الوقت توجه بالسيارة عبر ممر المشاة الذي يفصلها عن الرجلين. أما هي فتراجعت نحو الحائط، رافعة يديها أمامها في حركة عفوية للدفاع عن النفس.

أتراها مدربة على القتال؟ كلا، لكنها مستعدة الدفاع عن نفسها، هكذا خمن لوكا باستحسان. فهو نفسه خبير بفنون القتال الحربية.

قفز من السيارة لكن الرجلين كانا قد ابتعدا هاربين بأقصى سرعتهما عبر الشارع. تجاهلهما لوكا وسأل المرأة بخشونة: «هل أنت بخير؟».

إضاءة الشارع أظهرت له وجهاً يعرفه، وجهاً كان قد علق في تفكيره كثمرة شائكة، منذ أن قدمت له طبق المقبلات قبل العشاء. نظر إلى عينيها

اللتين تبدوان كهبة ريح شتوية باردة تعصف ما بين رموشها وحاجبيها.

ـ أنا بخير، شكراً لك.

خرجت كلماتها من دون إتقان. وبالرغم من أنها شاحبة كلياً، فقد كان فمها الناعم مشدوداً بتناسق. ومما أثار اعجاب لوكا تلقائياً قدرتها على ضبط النفس، ولو أن جانباً منه كان يتساءل كيف ستبدو إذا ما فقدت السيطرة على ذاتها.

يا للجمال الصارخ! عينان بلون رمادي جليدي يغطيهما جفنان ثقيلان، وشعر يتمايل بفوضى كأنه شلة من خيوط نحاسية... وبشرة لوّنتها فورة الانفعال بلون خوخي وعاجي، أما الفم فقد غدا أكثر ليونة وارتياحاً.

لكي يبعد تفكيره عن هذه التخيلات الذكورية.. وعن الاضطراب الذي يغلي داخل جسده.. اقترح لوكا بهدوء: «يمكنك إنزال يديك الآن، فأنت في أمان».

ارتخت يداها إلى جانبيها، وتمكنت ألكسا من اطلاق ابتسامة سريعة قائلة: «شكراً لك».

ـ على ماذا؟

عضت أسفل شفتها للحظة قبل أن تجيب: «لأنك تورطت في هذا الأمر».

ـ ولمَ لا أفعل؟

أخذت نفساً حاداً: «بعض الناس لا يفعلون».

انتزع لوكا نظره بقوة عن صدرها الذي كان يختلج. وسألها بصوت أجش: «من أنت، وماذا تفعلين في الشارع الخلفي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟».

أحست بالتصلب بينما ارتفعت ذقنها إلى الأعلى وهي تجيب: «أدعى ألكسا مايتون، وأنا ذاهبة إلى موقف السيارات الذي يقع عند زاوية الشارع».

ـ لِمَ لم تطلبي من أحد البوابين أن يطلب لك سيارة أجرة؟

إذاً، لقد تذكرها. غمرها شعور لطيف بالدفء والرضى، نوع من الاكتفاء الأنثوي. خافت من السقوط أرضاً إذا ما استسلمت للاسترخاء، فشدت كتفيها وقالت بسرعة: «أنا لست أحد الضيوف في الفندق. شكراً جزيلاً لسرعتك في التصرف. سوف.. سوف أذهب الآن وأطلب سيارة أجرة».

قال بتصميم جازم أنذرها بأنه لن يتركها بمفردها: «سوف أرافقك إلى هناك».

أحست بارتجاف نتيجة الرعب الذي تعرضت له وقالت بضعف: «لا يمكنك أن تترك سيارتك في وسط الطريق هكذا».

قال بصوت حاسم لمحت فيه شيئاً من نفاد الصبر: «أقترح إذاً أن أقلك إلى موقف السيارات، فأنت لست في حالة جيدة لكي تسيري بنفسك إلى هنا».

علمت الكسا أن عليها أن ترفض عرضه، وتنطلق بعيداً عنه بسرعة.

ألقت نظرة سريعة على وجه بدا كأنه منحوت من الغرانيت، لكنها غضّت طرفها بسرعة وقد أحست بشعور غائر في معدتها. فبالرغم من أن الرجل خطير بشكل ما، إلا أنه لا يشكل تهديداً لحياتها.

ردت بثقة وهي تكبت ارتجافة أخرى: «شكراً لك».

بلمح البصر دفعها الأمير برفق إلى المقعد الأمامي بجانبه وقاد سيارته باتجاه زاوية الشارع.

كان موقف السيارات خالياً بالتأكيد.. كذلك كان الشارع، إلا من رجل وحيد كان يترنح من عمود إنارة إلى آخر. خنقت ألكسا في داخلها حشرجة رعب.

ـ إذا وثقت بي وأعطيتني عنوانك، فأنا أوصلك إلى منزلك.

ـ شكراً ولكنك لست مضطراً للقيام بذلك.

ثم أردفت بسرعة عندما رأت تردده: «ربما، يمكنك أن توصلني إلى

أقرب مركز للشرطة.. إذا كان هذا لا يزعجك».

رد بصورة آلية: «طبعاً».

حرّك مقسم السرعة في السيارة ثانية، بينما كانت تعطيه التعليمات وقال بهدوء: «عديني بألا تسيري وحدك ثانية في الليل في قلب المدينة».

دافعت عن نفسها: «هذا ليس من عادتي، لقد كنت فقط في المكان غير المناسب، في وقت غير مناسب. أفترض أنهما ظنّا أنه من السهل عليهما نشل حقيبتي والهرب بعيداً قبل أن يصل أحد».

ـ ربما، وربما لم يكن المال هدفهما.

سألت: «ماذا يمكن أن يكون هدفهما غير ذلك؟».

وتدفق الدم إلى وجهها إزاء نظرته الساخرة، وتسللت إلى جسدها رعشة باردة أصابتها بالتوتر. لقد تمكنت من إلقاء نظرة وحيدة خاطفة على وجهيهما قبل أن ينعطفا ويعدوا بأقصى سرعتهما عبر الشارع، وقد انطبعت ملامحهما في ذهنها: «لا يمكن أن يكونا قد فكرا في... الإعتداء علي في الشارع العام حيث الزحمة والناس».

قاطعها: «وهل نسيت السيارة؟ لا بدّ أن أمك أخبرتك أن النساء الجميلات يعتبرن دائماً فريسة مرغوبة».

ـ أيّ سيارة؟

اثبطت كلماته عزيمتها وجعلتها تشعر بوخز خفيف، فقد وصفها بالجميلة.

تفحّصتها نظراته كالسيف: «لقد أوقفاها في أحد الممرات في الجانب الآخر من الشارع. ألم تسمعي صوت المحرك حين هربا؟».

ـ كلا.

ذلك أن كامل انتباهها كان مركزاً عليه. أحست ألكسا بتشنج في معدتها بسبب الخوف حين تيقّنت كم كانت قريبة من الكارثة. وغمغمت وهي تصر على أسنانها: «كان ذلك فقط حظاً سيئاً...».

ـ وحماقة كذلك.

قال ذلك بنبرة لاذعة أجفلتها، فيما توقف عند حافة الطريق ليخلع سترته، قبل أن يتسنى لها الوقت لتقول سوى: «ما الأمر؟».

رمى بالسترة إلى حجرها. إنها دافئة وأنيقة التفصيل تماماً كسترة السهرة التي كان يرتديها في الفندق.

حدقت ألكسا فيه بصمت، فقال بلهجة الآمر: «ضعيها على كتفيك، فأنت مصدومة وترتجفين من البرد».

كانت مجفلة وخائفة، فراحت تضغط بأصابعها على السترة: «أنا بخير...».

قال لوكا: «إنك ترتعدين».

وعندما لم تتحرك... ولم تتمكن من الحراك.. عاد يأمرها: «انحني إلى الأمام».

استجابت ألكسا إلى تلك البحة السلطوية في كلماته بطاعة تلقائية، فوضع السترة حول كتفيها، وراح يسحبها نزولاً لتغطي ذراعيها.

ما إن أحست بالسترة تلفها حتى تمزقت أحاسيسها. فالسترة التي تحمل دفء جسده أثارت في جسدها صراعاً بدائياً عنيفاً، أدركته بعمق في داخلها. وغدا شعورها به أكثر عنفاً وأكثر حدة ما كاد يسبب لها الإغماء، بسبب العطر الساحر الذي يفوح من السترة، وعطره... عطر لا يميزه سوى العاشق.

سألها مقطباً: «هل أنت على ما يرام؟».

أمسك يديها بكلتي يديه وقال بلاطفها: «لقد واجهت تجربة بغيضة. لكنها انتهت الآن، وأصبحت بأمان».

غمغمت: «شكراً لك».

أمان؟ وكل خلية من خلايا جسمها تضج بمشاعر غريبة متوحشة؟ تلفّظ بكلمات بدت وكأنها باللغة الإيطالية، قبل أن يترك يديها ويستدير مبتعداً عنها ليعيد تشغيل محرك السيارة.

سألها وهما يبتعدان عن موقف السيارات: «لقد نسيت أين يجب أن

أنعطف الآن».

كانت لا تزال ترتجف من الداخل، لكنها أرشدته إلى الاتجاه الصحيح.

هل قال حقاً شيئاً مثل «جميلة بشكل خطير» بلغة بدت كأنها لغته الأم؟

بالطبع لا! حاولت أن تسيطر على ارتجاف فمها. فبالرغم من التشابه الظاهري بينهما، فإن لغة الداسين ليست الإيطالية. لكنه يجدها جذابة.

ماذا بعد؟ إذا أنقذها مما يمكن وصفه بحادثة بغيضة، فهذا ليس عذراً لها لتتصرف بحماقة. فالأمير لوكا باغوتون أوف داسيا قد يمتلك الشجاعة واللطافة، وقد يعتقد أنها جميلة، لكنه بعيد جداً عن متناولها.. وهي ليست سهلة المنال أيضاً! كما أن إقامة علاقة غرامية عابرة مع الأمير الزائر لا تتوافق مع أسلوبها وقناعاتها.

قوّمت الكسا عمودها الفقري وكتفها، ما إن توقفت السيارة أمام قسم الشرطة، وراحت تتلمس مقبض الباب، ثم قالت بصوت حاولت أن يأتي رسمياً بقدر ما أمكنها: «أشكرك كثيراً على مساعدتك، وآمل أن تتمتع بما تبقى من فترة إقامتك في نيوزيلندا».

بعد لمحة خاطفة إلى ساعته قال: «سوف آتي معك».

اعترضت الكسا: «لست مضطراً للتورط في كل هذا. لقد كنت في طريقك إلى مكان ما...».

إلى شقة ساندرا تشامب ربما؟

ردّ من دون أن ينظر إليها: «أنا أيضاً رأيت المهاجمين. قد أتمكّن من المساعدة في تحديد شخصيتيهما».

قالت بتردد ومن دون تفكير: «أنا... أنت لا تريد التورط في هذا».

أجاب بلطف غير قابل للنقاش: «أنت على حق. لكن من واجبي أن أفعل».

***

٢ ـ شاهد عيان

بعد مضي نصف ساعة، وبعد مقابلتين منفصلتين، هنأتهما الرقيب قائلة: «كم أتمنى لو أن الشهود الذين يحضرون إلينا شديدو الملاحظة مثلكما! فبعد هذا الوصف الجيد سوف نقوم باعتقالهما».

ثم نظرت إلى ألكسا وقالت: «سوف نتصل بك إذا احتجنا لذلك».

في الغرفة الصغيرة حيث أعطت الكسا إفادتها قدموا لها الشاي مع دواء منشط. وقد ساعدها ذلك كثيراً، إلا أنها كانت لا تزال تشعر بالضعف والسخط، كما راحت الدموع تلسع عينيها بألم حاد.

قادتها يد لوكا الصلبة إلى الخارج، وقال بعد أن ألقى عليها نظرة فاحصة: «عليك أن ترشديني إلى عنوانك».

راحت الكسا ترشده بصوت رتيب نحو شقتها التي تقع في إحدى ضواحي المدينة. كان لوكا يقود ببراعة وبشكل جيد، رغم أنها اضطرت مرتين لتزويده بمعلومات حول قوانين السير في طرقات نيوريلاندا.

ما إن وصلا إلى ما كان سابقاً مقر السوق الفيكتوري، والذي تحوّل الآن إلى مساكن، قالت ألكسا بصدق: «شكراً جزيلاً على كل ما فعلته».

انقلبت الكلمات إلى صمت حين نظر إليها بسخرية باردة وهادئة، وتحولت قسمات وجهه الخشنة إلى تعبير متحفظ متباعد. أصابها التوتر مما سبب لها قشعريرة في جسمها. ففكرت أن ذلك كان نتيجة الصدمة التي أصابتها في محاولة لحماية نفسها.

ابتلعت ريقها وتابعت تقول بتصميم وهي تشعر بالغيظ: «لا أحب أن

أفكر بما كان ليحصل لو أنك لم تصل في الوقت المناسب».

ـ لا تفكري بذلك، كان صراخك كافياً ليجعل أحدهم يسرع لنجدتك، أنا لم أفعل شيئاً.

قال ذلك بلا مبالاة واستدار حول مقدمة السيارة ليفتح لها الباب، وتابع: «لكن عديني بأمر واحد».

استجمعت قواها وهي تمسك بالباب. لقد كان قريباً جداً منها، لكن ما إن فكرت بذلك حتى تراجع إلى الوراء. عندئذٍ، سحبت الكسا جسمها من السيارة وانتصبت واقفة وقدماها ترتجفان، وسألته: «بماذا أعدك؟».

ضاقت حنجرتها حتى أن الكلمات خرجت منها شائكة مليئة بالحذر.

كانت ابتسامته تلتمع بياضاً كالبرق في سواد الليل... إنه مثير، ذكي وعنيد أيضاً: «من الآن فصاعداً، سوف تكلمين البواب عندما تريدين مغادرة الفندق».

ردت بسرعة وهي تبحث عن مفاتيحها داخل حقيبتها: «بدءاً من الغد، سوف أستعمل سيارتي الخاصة، لكني أعدك بألاّ أتجوّل وحدي ليلاً».

ثم استدارت نحوه مبتسمة.

دعي الأمر يبقى غير شخصي. هكذا حذّرت نفسها غاضبة لأنها تشعر بوجوده قربها بشكل حاد، طويل القامة وذكوري بشكل مهلك، وتلك الطاقة المتدفقة منه تخلّف في داخلها اضطراباً من نوع ما.

أضافت: «... أنا لا أعمل في الفندق».

ضاقت عيناه: «لكنني رأيتك...».

قالت موافقة: «أقدم الأطباق الخفيفة».

وتابعت: «أنا على جدول الخدمة في الحالات الطارئة فقط، لقد تم استدعائي الليلة لأن معظم الموظفين أصيبوا بالأنفلونزا».

أرادت أن تبقي الأمور على مستوى غير شخصي، لكنها فشلت بشكل محزن. قالت لنفسها بصمت: إذهبي من هنا، الآن!

تجاوزته بحذر وصعدت الدرج باتجاه الباب الأمامي، فتحته واستدارت

وإذا بها تجفل وتتسع عيناها لرؤية تلك القامة الطويلة، المسيطرة والتي تحجب عنها معظم الضوء. أمسك بها من ذراعيها وقال بصوت أجش: «إني آسف».

كانت يداه دافئتين، قويتين تشعرانها بالطمأنينة والمساندة والاستقرار.

قطب قائلاً: «إنك شديدة الشحوب، لقد تعرضت لصدمة ويجب أن يكون أحد بجانبك للتأكد من أنك بخير».

زاد من احتضانه لها وشدّها نحو دفء صدره الصلب. وبالرغم من التحذيرات التي راح عقلها يطلقها بشكل متواصل، تركت ألكسا نفسها تتكىء عليه، متقبلة بعرفان أنثوي تلك المؤاساة التي قدمها لها.

قال لها بنبرة من التهذيب غير المتوقع: «لقد كنت شجاعة، فقد رأيتك وأنت تقيسين كل الاحتمالات المتاحة وتقررين أن الصراخ والمقاومة سوف يوفران لك حظاً أفضل للنجاة. إنها سرعة في التفكير ورفض للقبول بدور الضحية. هل تعرفين حقاً كيف تدافعين عن نفسك؟».

ـ كلا، لطالما فكرت بأنني يجب أن أقوم بـ... شيء بهذا الخصوص، لكن لم يبدُ لي أبداً أنني أملك... الوقت لذلك.

توقفت عن شرحها المتلعثم لتأخذ نفساً سريعاً. إنها مخاطرة ذات طعم عذب بأن تكون مدللة على هذا النحو.

سحبت نفسها بعيداً عنه، فحررها على الفور شاعراً بالخيبة والتحرر في الوقت نفسه. وتكلفت نبرة خفيفة في صوتها: «آسفة، لقد قطعت عليك أمسيتك».

تجهم وجهه وبرزت قسماته الضخمة القاسية تحت النور الخافت: «لم يكن ذلك بالأمر الهام، هل أتصل بأحد من أجلك؟».

ـ إن ذلك ليس ضرورياً.. أنا أرتعش قليلاً، لكن كل ذلك سيزول بعد أن أخلد إلى النوم.

وفجأة تذكرت السترة التي لا تزال تشعرها بالدفء: «سترتك!».

وضعت حقيبتها على حافة الدرج وراحت تحرك جسمها لتخلعها.

راحت عينا الأمير تتأملان حركتها.

وتجمدت أنفاس الكسا في حنجرتها، وراحت تحدق في تينك العينين اللتين تلتمعان تحت ضوء مصباح الشارع، وفي ذلك الوجه الذي بدا قاسياً كقناع من البرونز.

ظلا لبرهة من دون حراك وقلباهما يخفقان، إلى أن تمكنت ألكسا من استعادة قدرتها على الحركة فخطت إلى الوراء وسلّمته السترة، من دون أن تلمس أصابعها أصابعه.

ـ تفضل.

قالت ذلك بصوت أجش متوتر وأضافت: «... ولا تقل إن ذلك لم يكن بالأمر الهام».

تكوّر فمه وقال بصوت يكاد يفتت الحجر: «أنا لا أكذب. ادخلي الآن إلى البيت».

كانت الكسا متوترة، ففتحت الباب واختفت داخل الردهة قائلة: «الوداع».

انحنى رأسه الأسمر: «الوداع، ألكسا مايتون».

بدا لها أنها سمعت في صوته صدى شعور بالوحدة يعكس صورة وحدتها فرفعت بصرها نحوه بحدة، إلا أن وجهه الصلب لم يكن يظهر سوى اكتفاء ذاتياً. كان قلبها يخفق بشدة، فدفعت الباب وراءها دفعة قوية.

أصغت إلى صوت السيارة إلى أن اختفى وسط ضجيج السيارات الأخرى. وعندئذٍ، سارت وحيدة نحو شقتها، مفكرة أنه من بين كل الأمور الغريبة التي قد تشتبه بوجودها لدى الأمير لوكا فإن الشعور بالوحدة قد كان الأبعد احتمالاً.

علاوة على ذلك، بدا لوكا أبعد ما يكون عن زير النساء الذي توهمته، أو ذلك المغرور ذو الوجه الوسيم المصقول. لقد تحوّل من محارب ذكي، مرعب وخطير إلى حد بعيد، إلى رجل العطف المتناهي والحماية الفطرية، مما أثار دهشتها ولا يزال.

لقد كان لوكا باغاتون رجلاً بالغ التعقيد و«مث. . . مثيراً أيضاً».

في برودة شقتها الآمنة، ألقت نظرة سريعة إلى صورتها في المرآة، فأجفلت من ذلك الوميض المحموم الذي بدا في عينيها الشاحبتين، وذلك التورّد المتمرد فجأة فوق عظمتي خديها.

من الطبيعي أن تشعر بالإثارة والتململ، لكنها لن تتمكن من النوم وهي في هذه الحالة. كانت لا تزال ترتجف من الداخل، فأعدت لنفسها كوباً من الشوكولا بالحليب، حملته إلى طاولة الكومبيوتر وجلست تبحث على الانترنت عن معلومات تتعلق بلوكا باغاتون.

بعد مرور ساعة، أطفأت الكومبيوتر ووقفت تمط عضلاتها التي أصابها التيبّس بينما كانت تقرأ أخبار الأمير لوكا أوف داسيا.

قالت وهي تلتقط كوب الشوكولا الفارغ: «لا عجب في أن يشعر بهذا القدر من الاكتفاء الذاتي».

نجح والد لوكا بالوصول إلى الإمارة عندما كان في الثامنة عشرة من عمره، وذلك عندما كانت داسيا تتعرض للاجتياح من قبل إحدى الدول. بدافع اليأس على الأرجح، تزوج من الابنة الوحيدة للحاكم الذي كان يهدد بلاده، وقد نجحت خدعته. . . وحافظت داسيا على استقلال نسبي. وبعد عام ولد الابن الوحيد من هذا الزواج.

قالت الكسا وهي تتثاءب: «آمل أن يكونا قد تحابا، وإلا فإن كلاهما عاش في جحيم من دون شك».

وفي صباح اليوم التالي، وقبل مغادرتها إلى العمل رن جرس الباب، فانعقد حاجبا الكسا معاً، وخرجت لترى من القادم.

فتحت الباب، فإذا برجل يحمل باقة ضخمة من الزنابق المنسقة بدقة، والتي تبدو هشة بلونها النحاسي.

سألها الرجل: «الآنسة الكسا مايتون؟».

وعندما أشارت بالإيجاب قدم لها الباقة. حملت الكسا الهدية الرائعة بصورة آلية وهي تنظر إلى الأسفل لترى المغلف المرفق بها، والذي يحمل

اسمها وقد كتب بلون أسود ثخين وبحروف واضحة تماماً. وراح قلبها يرتجف وهي تقول: «شكراً لك».

عادت إلى شقتها ووضعت الزنابق في إناء زجاجي مقابل النافذة، مبدية إعجابها بانعكاس أشعة الشمس على تلك البتلات الحريرية شبه الشفافة. أتراه اختارها لتنسجم مع لون شعرها؟

عندئذٍ فقط، وبعد أن تخطت ترددها، فتحت المغلف لتجد في داخله هذه العبارة: «آمل أن تكوني قد أصبحت بحال أفضل هذا الصباح».

وتحتها توقيع بحرف «ل» متغطرس.

جعلتها المفاجأة تشعر بوميض سريع من الإثارة. لقد كانت الزنابق رائعة، هكذا فكرت وهي تتحسس إحداها برفق بطرف سبابتها.

حسناً، لا بدّ أن الأمير أمر أحد أتباعه بأن يرسل تلك الأزهار إلى هذا العنوان، ثم نسي مباشرة كل ما يتعلق بهذا الأمر. إلا أن ذلك أمر لطيف من قبله. والتقطت الكاميرا، ليتها تتمكن من التقاط تلك الشفافية الحريرية. . ألقت نظرة سريعة على ساعة يدها، ثم وضعت الكاميرا من يدها وهي تشعر بالأسف. فهذا الأمر يمكنه أن ينتظر.

عادت الكسا إلى شقتها بعد ظهر ذلك اليوم، وهي لا تزال مشدودة الأعصاب، بعد جلسة رهيبة مع إحدى الممثلات التي أصرت على أن يتم تصويرها برفقة زوج من الكلاب المخبولة.

أضاءت الكسا النور، فبدت الزنابق لامعة كقطعة من القماش الشفاف النحاسي اللون، فتحول سخطها إلى امتنان عذب.

كانت كارول قد اتصلت بها لتعلمها بأن جدول الخدمة لديها مكتمل، فأدركت أنها لن ترى الأمير لوكا ثانية، إلا أنها سوف تتذكر دوماً لطفه وأزهاره. وكانت قد كتبت له عبارة تشكره فيها على الأزهار، وهي تنوي إرسالها إلى الفندق خلال دقائق.

رن جرس الباب محدثاً جلبة في أنحاء الغرفة، فقالت: «آه، رائع!».

ألقت حقيبتها على الكرسي، فلعل الطارق صديق يود دعوتها لتناول

القهوة. لكن الرجل الذي طالعها لم يكن أحد أصدقائها، مع أنه بدا لها مألوفاً بشكل غامض. وقبل أن تتمكن من تحديد هويته، تكلم الرجل بلهجة أنبأتها بسبب تلك الإلفة: «الآنسة مايتون؟».

تسارعت دقات قلبها: «أنا الكسا مايتون».

ـ يود الأمير أن يراك.

قال الرجل ذلك بهدوء بينما راحت عيناه الداكنتان تتأملان وجهها بتريث، وقد بدتا عنيفتين فاحصتين: «آسف. إنها فقط ملاحظة قصيرة، لكن إن كان بإمكانك المجيء معي...».

قطب عندما رأى ترددها، وقال: «إني آسف».

ثم سحب بطاقة قدمها إليها بشكل بالغ التهذيب. قلبت الكسا البطاقة على الوجه الآخر وعيناها تتفحصان ما كتب على ظهرها.. لقد كتب الأمير لوكا: «أرجوك، رافقي ديون».

واتبع هذه العبارة القصيرة بحرف «ل».

لعلها أصيبت بعقدة الإرتياب بعد ما عانته الليلة الماضية، إلا أنها لن تذهب في سيارة مع شخص غريب عنها تماماً.

ـ أنا ذاهبة إلى الفندق بعد عشر دقائق، وسأتصل وأنا في طريقي.

بدا أن الرجل فوجيء بهذا الرد، لكنه قال بتهذيب: «أجل، طبعاً، سوف انتظرك عند المصاعد في الطابق الثالث».

شعرت بالبهجة الممزوجة بالخجل والتحفظ. كانت ترتدي بذلة أنيقة مع بنطلون بلون برونزي، وهو لونها المفضل، وقميص حريري مناسب تحت سترة فضفاضة. أغلقت الباب خلفه وانطلقت مسرعة إلى داخل الشقة لتجدد أحمر شفتيها، قبل أن تلتقط مفاتيح سيارتها.

لَمَ يود الأمير رؤيتها؟ كانت مترقبة وتشعر بقلق غريب.

ركنت سيارتها في الموقف المخصص للزوار، واستقلت المصعد إلى داخل الفندق.

كان ديون ينتظرها قرب المصعد بثقة تامة. وبالرغم من ترحيبه الحار بها

إلاّ أن ألكسا شعرت بتحفظه وهو يفتح باب مصعد آخر بالمفتاح ويقودها إلى داخله.

أحست باضطراب في معدتها فراحت تحدق إلى الحائط إلى أن توقف المصعد في الجناح المخصص للأمير حيث فتح لها أحد رجال الأمن الباب وقادهما معاً إلى داخل الردهة.

قال مرشدها وهو يفتح لها باباً آخر: «من هنا سيدتي».

وتراجع إلى الوراء بينما دخلت ألكسا، ثم توقفت ما إن أقفل الباب وراءها.

تجاهلت الكسا كل ما في الغرفة الضخمة من مفروشات فخمة، وركزت نظرها على الرجل الذي استدار نحوها بعد أن كان يتأمل غياب الشمس القرمزي اللون، ونظر إليها بعينين خطيرتين.

تذكرت أن المرء عندما يكون في حضرة شخصية ملكية عليه أن ينتظر إلى أن يتم التحدث إليه. ومع أنها اضطرت لابتلاع الكلمات التي راحت ترتجف على لسانها، بينما راح هو يراقبها بتمعّن شامل مثير للرعب، إلاّ أنها وقفت تنتظر صامتة، وعيناها تشتعلان غضباً أمام نظراته العديمة الرحمة.

سألها بصوت عميق بارد: «هل رأيت صحف اليوم؟».

قطبت، بعد أن تخلت عن كل محاولة للالتزام بالشكليات والبروتوكول: «كلا، لماذا؟».

أشار إلى جريدة موضوعة على طاولة القهوة: «ربما عليك أن تقرئيها الآن، انظري إلى العمود الأخير في الصفحة الثالثة».

بعد نظرة ملؤها الارتباك، سارت باتجاه الطاولة والتقطت الجريدة. كانت أخبار المؤتمر تملأ الصفحة وفي عمود الأخبار الشخصية رسم أحدهم بقلم أسود دائرة حول أحد المواضيع.. إنه القلم نفسه الذي استعمل لكتابة الحرف «ل» على البطاقة التي تلقتها الكسا مع الأزهار.

راحت تقرأ الخبر بارتياب.

ـ بعد زواج أمير ايليريا، بات أمير داسيا الآن هدية من السماء لأولئك

الرومنسيين المتتبعين للأخبار الملكية. فقد أخبرني مصدر خاص أنه شوهد في الليلة الماضية، وهو يوصل إحدى المصوّرات الشابات الأكثر نشاطاً في أوكلاند إلى منزلها، وذلك بعد المأدبة الخاصة بمؤتمر المصرفيين. وكانت الشابة ترتدي سترته. فما الذي يمكن أن يعنيه ذلك باعتقادنا؟

سألها بدقة فيها شيء من الازدراء: «أنت من سرب هذا الخبر؟».

انتفض رأس الكسا إلى الأعلى، وشعرت بمرارة... وارتباك... وألم... فحملقت فيه بغضب: «بالتأكيد، أنا لم أفعل ذلك».

ـ كيف وصل الخبر إذاً إلى الجريدة؟

لم تعرف ما الذي يرعبها أكثر... غضبه المتجمد والخشن كعاصفة ثلجية تهب على القطب الجنوبي، أم قدرته الصوانية على السيطرة على نفسه.

قالت: «لست أدري».

ثم تابعت متمسكة برباطة جأشها: «أتصور أن أحدهم قد رآنا في مركز الشرطة، لحسن الحظ أنه لم يربط بينك وبين شخص محدد».

قال بصوت حاد وساخر: «يمكن أن يدس اسمك في المرة القادمة بشكل ما».

انتفض رأسها يميناً ويساراً واصطدمت نظراتها بنظراته. فسألته وهي تشعر بجفاف في فمها: «لِمَ قد يكون هناك مرة أخرى؟».

ـ أيّ كان من يمد هذه المحررة بالمعلومات، فسوف يحاول التأكد منها لاحقاً.

قالت محاولة أن تكون منطقية: «إسمع، إن المسألة مثيرة للغضب لكنها ليست نهاية العالم، وسرعان ما ينسى الناس الأمر».

فقال: «أنا لا أريد أن أنسى».

كانت عيناه المخبأتان وراء ستار رموشه تراقبان انسياب النور من خلال شعرها المتناثر حول وجهها. وقال بدقة متناهية: «لا أحب أن يستغلني أحد يا آنسة مايتون».

شعرت الكسا بالحرارة والارتباك والغضب معاً وهي تواجه غطرسته

المفعمة بالسخرية. فجابهت طعنته المؤلمة تلك بإنكار ملؤه الاضطراب، وقالت ساخطة: «لِمَ قد أقوم باستغلالك؟».

ـ عادة ما يكون ذلك من أجل المال.

واستدار بحدة ليقضي على محاولتها ابداء التعاطف حين أضاف: «وغالباً ما يكون طمعاً بالشهرة... أتصور أن وجود صلة تربطك بي، مهما كانت واهية، سوف تساعدك للتقدم في مهنتك. أرجو ألا تكوني قد التقطت لي صوراً الليلة الماضية».

التمعت عيناها الشاحبتان وأخذت تصر على أسنانها. استعادت في ذهنها حديثها مع كارول حول إمكانية إخفاء كاميرا بين ثيابها، فشعرت بتأنيب الضمير وتصاعد الدم إلى بشرتها... أما هو فقد لاحظ ذلك بوضوح.

ردت بشكل جازم: «لم التقط أيّ صورة، ولم أسرب الخبر للصحافة، تلك القذارة...».

وتابعت مشيرة بازدراء إلى الجريدة: «... إنها مشكلتك وليست مشكلتي. كما أن الخبر لا يستند على أيّ إثباتات».

ـ هل أنت حقاً مقتنعة بذلك؟

سار باتجاهها قاطعاً الغرفة بخطوتين، وأحبط محاولتها التراجع إلى الوراء عندما أمسك بكتفيها.

في الليلة الماضية، شعرت الكسا بقوة يديه ودعمهما. أما الآن، وفيما هي تشعر بالألم وتكاد تفقد توازنها، لم تجد فيهما سوى دلالة على قدرتهما على السيطرة.

ـ ليتني أستطيع التصديق بأن ذلك الخبيث الذي دس هذه القذارة لا يستند على أيّ اثباتات.

قال ذلك والسخرية تلتمع في عينيه كالنار المتجمدة: «لكنني شخص واقعي».

وأحنى رأسه ليعانقها ببطء.

فيما بعد، حاولت ألكسا بصعوبة اقناع نفسها بأن المفاجأة جمدتها ومنعتها من الاحتجاج على عناقه لها.

لكنها كانت تخدع نفسها، فمنذ اللحظة الأولى التي رأت فيها لوكا، راح وعيها يمتلىء به بحدة وفعالية.. وبالرغم من قدرته الفولاذية على السيطرة على نفسه، كانت تدرك أنه يشعر بما تشعر به هي تماماً. وفي كل مرة تلاقت فيها عيونهما كانت تتبادل رسائل خفية، غير منطقية، تثير فيها شعوراً قوياً.

تلك الرسائل السرية، ذات الطبيعة البدائية كانت تنمو محدثة فيهما طاقة، تغذيها غرائزهما، مزيلة في طريقها كل إحساس بالحيطة والحذر.

كانت ألكسا تنتظر هذه اللحظة، من دون وعي منها. فكل ما هو أنثوي فيها كان يعي أنها سوف تحين.

بعد عناق قصير متوحش كصفعة، رفع لوكا رأسه لينظر إليها واختفى الجوع الذي كان يلتمع في عينيه، خلف مظهرهما الكامد المصقول.

احتاجت الكسا لكل ذرة من إرادتها لتسأل بعذوبة: «هل اكتفيت؟».

وحّملت كل كلمة من كلماتها نبرة احتقار حاد.

ظهرت على وجهه ابتسامة باردة ملتوية، وقال بخشونة: «لسوء الحظ، كلا».

لم يكن عناقه هذه المرة قصيراً ولا متوحشاً، إنما حار ذو مغزى، وكأنه كان يتوق إليها منذ سنوات، بل كأنهما عاشقان لم يعد لديهما سوى هذا العناق يتبادلانه، قبل أن يفرقهما القدر المرير إلى الأبد.

جاهدت الكسا لتبقى سلبية، إلا أن قوة مروعة كانت تتفجر في أعماقها، مسببة صدمة أذهلت آخر جزء عقلاني من تفكيرها.

لم يقطع تلك الحالة سوى طرق حاد على الباب. في تلك اللحظة، خطرت لها فكرة مبهمة، بأن هذا الرجل قد يكون أمضى ليلته مع امرأة أخرى.

أطلقها عندما دفعته من صدره، ورفع رأسه متراجعاً إلى الوراء.

فرفعت الكسا رموشها عنوة، لتنظر في عينين مصقولتين صلبتين كالذهب الذي أعطاهما لونه. إنه يريدها... لا يمكنه إخفاء ذلك... إنما ذلك لا يعدو كونه مجرد رغبة ليس إلاّ.

لا يجدر بهذا الأمر أن يكون مؤلماً.

لكنه كان مؤلماً بقدر ما يثير الغضب، مما دفعها لتسأله: «وماذا يثبت ذلك سوى أنك أقوى مني؟».

التمعت في عينيه تسلية لاذعة، والتوى فمه قبل أن يرد: «ذلك يثبت أنك تريدينني بقدر ما أريدك».

واستدار بلطف مزق رباطة جأشها.

فأجابت برد سريع وحاسم، محاولة إقناع نفسها: «ذلك لا يعني شيئاً».

كانت تدرك بأن تحت تلك القدرة على السيطرة كان لوكا يحترق غيظاً.

فقال دون أن يحاول إخفاء الازدراء في نبرته: «يا لها من نظرة متحررة رائعة».

أحست بالحرارة تعلو وجنتيها، ونسيت أصول اللباقة والاحتراس وحسن التصرف لتنفجر غاضبة: «ربما، لكني لست متحررة لدرجة أن أعاشر كل رجل وسيم يريد القليل من الشهرة».

أجابها بشكل قاطع: «كلا، أنت فقط تعملين لحساب أولئك النهمين التواقين إلى قراءة التفاهات».

شعرت بالحرارة والحزن بسبب قسوتها المخجلة، فقالت من بين أسنانها: «ما كان عليّ أن أقول ذلك، أنا آسفة، لكني أقول للمرة الأخيرة، إني لست من أبلغ الصحيفة بذلك الخبر».

راح يراقبها بعدوانية تقارب التهديد: «إذا وصلت أخبار هذا العناق للصحافة، فسوف أعرف عندئذٍ قيمة كلمتك».

أجابت بإيجاز: «تماماً مثل كلمتك، لكني أكره أن أكون مشككة مثلك».

ـ لقد رضعت ذلك مع حليب أمي.

ثم أضاف بنفور بارد: «حرفياً».

بدت الكسا مصدومة من تلك الصراحة في كلماته، وغمغمت: «هناك شخص ما على الباب».

ـ يمكنهم أن ينتظروا.

لا بدّ أن موظفيه معتادون على الانتظار خارجاً، إلى أن ينهي ما يريده من المرأة التي تكون برفقته في أيّ لحظة!

استدارت الكسا مبتعدة. يا للمفارقة! كانت تشعر أنها أكثر أماناً مع أنهما وصلا إلى حالة من الخصام: «ليس عليهم ذلك، فأنا ذاهبة».

بصوت بدا كمزيج مثير من التسلية والسخرية، اقترح: «ربما عليك أن تمشطي شعرك فأنت تبدين... في حالة من الفوضى».

حملقت فيه بغضب وراحت تبعد شعرها عن وجهها إلى الخلف، إلا أن خصل الشعر النحاسية الثقيلة ظلت ملتصقة بخديها وصدغيها. استسلمت حين راح ينظر بتمعّن إلى يديها المرتجفتين وقالت بصوت حازم: «وداعاً».

سارت بحدة نحو الباب، ثم توقفت في منتصف الطريق لتقول: «شكراً لك على باقة الأزهار».

أجاب بشيء من التبرّم: «لا ترميها في القمامة، فقط لأني أنا من أرسلها».

ـ لا ذنب لها إن كنت أنت من أرسلها.

ولم تتمالك نفسها بأن تضيف: «مع أنني أراهن بأنك أمرت أحد أتباعك بالقيام بذلك».

قال بجمود: «واحسرتاه، لقد ولت أيام الأتباع منذ زمن طويل».

ثم أضاف: «هل استرجعت سيارتك؟».

ـ نعم. شكراً لك.

اندفعت خارجة من الغرفة، متجاوزة الرجل الذي ينتظر في الجهة الأخرى من الباب، وهي ممزقة بمزيج موهن من الغضب والاستياء

والأسى.

التقت عينا لوكا بعيني ديون، وأومأ لوكا برأسه، فاغلق ديون الباب ممتثلاً للأمر الصامت الذي تلقاه، ورافق الكسا إلى الأسفل حتى سيارتها.

وعاد وحيداً من جديد. استدار لوكا وسار باتجاه النافذة، وراح يحدق إلى الخارج نحو الحديقة وبركة السباحة البالغتي الإتقان.

بعد عيد ميلاده السابع بمدة وجيزة، استجمع شجاعته، وغطس في مياه البحيرة. كان يستعيد ذلك الإحساس في تلك اللحظة.. وكأن البريق الغامض كان بوابة العبور إلى بعد آخر، إلى مكان جميل محفوف بالمخاطر.

كانت كل عضلة من عضلاته مشدودة، بينما كان يجاهد ليكبح المشاعر غير المرغوب فيها. لقد أدرك مدى قوة حاجاته، لكنه تمكّن عبر السنين من حبسها في سجن من قوة الإرادة والتعقل.

أما الآن، فإن ابتسامة الكسا مايتون، وذلك البريق الواعد في عينيها البلوريتين الباهتتين، قد امتحنا قدرته على السيطرة على ذاته. ما كان عليه أن يعانقها، وطالما أنه فعل ذلك مرة، فلم يكن عليه بالتأكيد أن يستسلم لتلك الرغبة الجامحة في تكرار ذلك مرة أخرى.

كان يقلب بسرعة بعض الأوراق، حين سمع طرقاً على الباب من جديد، مما يدل على عودة ديون. وعندما أصبح الرجل في الغرفة سأله: «هل أوصلتها إلى سيارتها؟».

أجاب ديون بحدة: «أجل. لوكا، آخر مرة شوهد فيها غاي كانت منذ أسبوع، على متن سفينة محملة بتجهيزات طبية متجهة إلى سانتا روزا. لقد أجريت تحقيقاً، إنما يبدو أن لا أحد يعلم ما حصل لتلك السفينة، وإلى أين اتجهت».

أطلق لوكا شتيمة بصوت خفيض ما جعل مرافقه يجفل. عندما توقف، سحب ديون نفساً حاداً وقال: «الأفضل أن تخبرني ماذا يعني كل ذلك».

قال لوكا بصوت خفيض مخفياً انفعالاته وراء نبرة فولاذية: «غاي رهينة».

بدأ الاجتماع الليلة الماضية في جو يعبق بالارتياب، لكنه فكر أن بإمكانه اقناع اولئك الرجال من سانتا روزا أنه مبعوث حيادي تماماً. لقد ناقشوا طبيعة السلام الذي يتصورونه، ثم لعبوا ورقة رابحة تتعلق بمصير قريبه.

أجاب ديون على الفور: «في سانتا روزا؟ يمكننا أن نطلق سراحه».

هز لوكا رأسه: «دون إعلام الحكومة بذلك؟ إنه بأمان في الوقت الحاضر. فهم يريدون فعلاً إنهاء هذه الحرب، وهم مقتنعون بأن المتمردين يريدون ذلك أيضاً، ومع ذلك فهم لا يثقون بأحد... حتى وإن كان قادماً من الجهة الأخرى من العالم».

وتابع بصوت أكثر صلابة: «عندما ظهر غاي، تعرفوا إليه من خلال الأخبار التي تنشرها الصحف عن الشخصيات، وأدركوا أنه بات لديهم وسيلة مثلى لمنعي من بذل المساعي لجمع الفرقاء. إنما غاي آمن بحسب ما قاله لي رئيس الوزراء».

ـ وهل تصدق كلامهم؟

قال لوكا بتأن: «نظراً لهذه الظروف، أنا أصدقهم. وأعتقد أن أيّ كلمة قد تتسرب إلى الصحافة بشأن هذه المبادرة السلمية، سوف تعرض حياة غاي للخطر. إنهم يريدون أن يقر الإتفاق ويتم التوقيع عليه، قبل أن يعرف أي كان عن إمكانية عقد مثل هذه المعاهدة».

قطب ديون: «لكن لماذا؟».

فقال لوكا بشكل عرضي: «لأن الدولة المتاخمة تتحضر لاجتياز الحدود والسيطرة على أراضيهم. إلا أنها ستبقى على الحياد طالما أنها مقتنعة بأن طرفي النزاع مستمران في القتال حتى الموت، لكن أيّ إشارة سلم سوف تدفعها لاجتياح الجزيرة. لقد احتجزوا غاي على بعد ٣ آلاف ميل من الحدود، على الطريق الرئيسية المؤدية إلى العاصمة».

هذه المرة راح ديون يطلق الشتائم، بينما تابع الأمير بخشونة: «بالضبط، يبقى غاي في أمان طالما أن أحداً لا يعرف بشأن إمكانية عقد

معاهدة بين المتمردين والحكومة».

سأل ديون بشكل حازم ومحترف: «إذاً، ماذا سنفعل؟».

قال لوكا بتأن: «مما سمعته الليلة الماضية، يبدو أنه ليس من الصعب إقناع المتمردين... خاصة إذا ما نالوا وعداً بأن يكون لهم مكان في النظام الجديد، والحكومة تكفلت بذلك. لقد قدمت لهم اقتراحاً بشأن اللاجئين في سانتاروزا.. ويبدو أن العديد منهم على اتصال بالمتمردين».

نظر إلى ديون، مدركاً مدى إحباطه ورغبته بالتحرك: «تأكد من إبقاء الطائرة النفاثة في حالة جهوزية للطيران... فقد نضطر إلى نقلهم إلى أوكلاند وأخذهم إلى بيت الشاطىء. بمعزل عن ذلك لن نقوم بأي شيء..».

ثم ابتسم بطريقة ساخرة: «وقبل أن أعمل على خطة سلام ترضي الفريقين، فإني أخطط للسباحة».

فقال ديون: «غاي عنيد، ويحتمل أن يخرج نفسه من هناك».

أطلق ابتسامة ملؤها الاحتيال: «أعلم ذلك».

وتردد قليلاً ثم أردف بطريقة غير متوقعة: «هناك أمر آخر يمكنك القيام به. تأكد من عدم السماح لألكسا مايتون بالدخول إلى الفندق إلى أن ينتهي المؤتمر».

إلا أن السباحة لم تساعده على استعادة صفاء تفكيره، فبدلاً من السعي إلى تحرير قريبه أو تدبير لقاء بين الأطراف المتنازعة في مكان محايد، كان كل ما يرغب فيه هو الإحساس بشعر الكسا يلتف حوله كخيمة من الحرير، وكل خصلة منه تعانق بشرته بنشوة محمومة. كان يريدها أن تنظر إليه بعينيها الخطرتين، النقيتين كالثلج، والممتلئتين بالمشاعر.

سحب جسمه خارج حوض السباحة، وراح العرق يتجمع فوق جبينه عندما استجاب لتلك الأفكار. إنه يتوق إليها أكثر من أي شيء في العالم.

ولشدة احتراسه وصعوبة ارضائه... لم يقم الكثير من العلاقات الجدية مع النساء. إلا أنه يعلم ودون غرور أنه بارع في الحب، وذلك يعود إلى حد

ما، إلى تقديره لحاجات النساء وتمتعه برقتهن وتفهمه. لكن القدرة على السيطرة على النفس، والتي تعلمها على يد امرأة استدعاها والده عند بلوغه السادسة عشرة من عمره، هي التي تجعل النساء اللواتي يقعن في حبه يهربن قبل أن يستسلم هو لحبهن.

هذه القدرة على السيطرة على الذات سمحت له بالمحافظة على مسافة عاطفية بينه وبين الآخرين. لقد تدرب في مدرسة صارمة لكي يكون تفكيره ببلاده فوق كل شيء آخر.

إلا أنه يتعرض الآن لهجوم شرس من داخله، يطالبه بحب امرأة بحرارة ودون أيّ لياقة، فاقداً كل سيطرة على الذات، وتاركاً أهواءه الغبية تقوده.

بحق الله، إنها مصورة! تظهر الآن في حياته وفي أسوأ الأوقات. إن إشارة واحدة تصل إلى الصحافة، كفيلة بأن تجعل أولئك الرجال الذين التقاهم في الليلة الماضية، يختفون من نيوزيلاندا ويولون عائدين إلى غابتهم الإستوائية.

أما قريبه غاي، فقد يفقد حياته.

راحت المياه تتدفق عليه بقوة من الرشاش، وعندما لم ينجح ذلك في التخفيف من حدة هيجان جسده، راح يضرب راحة يده بقبضة يده الأخرى المشدودة بإحكام، محاولاً مقاومة إحباطه بالتمسك بحسن التصرف.

أين رأى تينك العينين المذهلتين الشاحبتين إلى حد الشفافية من قبل، بلونهما الذي يتناقض بعنف مع دفء بشرتها العاجية، وشعرها النحاسي؟

سمع طرقاً على الباب، فرفع رأسه سائلاً بتصميم لا يخلو من الخشونة: «ما الأمر؟».

قال سكرتيره الخاص بإلحاح: «إنها رسالة سيدي، تلك التي كنت تنتظر وصولها».

ذلك المساء، بينما كانت الكسا تحضر طعام العشاء ثم تأكله من دون أن تشعر بطعمه، راحت تستعيد مرة تلو أخرى ذلك المشهد مع الأمير لوكا.

لا يحتاج الأمر إلى محلل نفسي لتفسير ذلك التيار الذي سرى في داخلها إثر عناقه لها. لقد تخلت عن كل موقف دفاعي أمام جاذبيته الكاسحة، وتمزّقت حواجز الاحتراس والتصرف السليم، لتهمس لها بإغراء محموم، يفرض الحب بالقوة ويدفعها إلى شغف لم تتوقع أن تحس به من قبل.

تلك المشاعر البدائية إلى حد ما يجدر بها أن تثير نفورها شعورياً وعقلانياً. إنما لسوء الحظ، ثمة جزء متهور وطائش فيها يجد أن الأمير لوكا مثير للغاية. لقد عانقها عناق المنتصر وتركته يفعل... والأسوأ من ذلك، أنها شعرت بالفخر، لأنها أدركت بأنها تمكنت من تحطيم حاجز ما في داخله.

أما الأمر الأكثر إثارة فكان تلك الإشارة إلى وجود علاقة غرامية سرية وأسرار مخفية.

عليها أن تتوقف عن خداع نفسها! إنها ليست المرأة الأولى التي تجده جذاباً. فكل مجلة أو جريدة في الغرب تشهد على عدد النساء اللواتي وقعن في حبه بسبب ذلك السحر المتوسطي الذي يتسم به.

رن جرس الهاتف.

وقالت لها كارول بصوت فاتر: «الكسا، في الواقع حصل أمر... مزعج».

***

٣ ـ لا تثق بامرأة

قالت كارول وقد خلا صوتها من نبرته المثيرة المعهودة: «كنت أتحدث للتو مع رئيسي، لقد طلب أن... ألاّ...».

ترددت قبل أن تتابع بشكل فظ: «الكسا، إنه لا يريد أن يراك في الفندق طول مدة المؤتمر».

سألتها الكسا وهي مصدومة: «ماذا؟ ولمَ؟ لا يمكنه أن يفعل ذلك!».

لكنها فكرت باشمئزاز، أنه سيفعل ذلك إذا ما طلبه منه أحد النافذين!

أجابت كارول بنبرة منقطعة: «أخشى أن يكون بإمكانه القيام بذلك، وأود أن أطلب منك ألا تفقدي شجاعتك وأن تتابعي طريقك».

فسألتها: «هل ذكر لك رئيسك السبب؟».

قالت كارول: «لقد تم إبلاغه رسمياً بأنك مصورة، والمصورون هم حالياً من الأشخاص غير المرغوب بوجودهم. أنا بالطبع شهدت لك بالاستقامة، ولفت نظره إلى أنك كنت تعملين هنا من قبل».

قاومت الكسا شعوراً غامضاً بأنها تعرضت للخيانة، وأرخت فكها المشدود بصعوبة متجاهلة لهجة الارتياب المترددة في صوت المرأة الأكبر سناً لتقول: «كارول، لا بأس. فأنا لدي برنامج مكتمل للأسبوع المقبل، وعلى الأرجح ما كنت لأستطيع مساعدتك على أيّ حال».

تنهدت كارول، وردت: «شكراً لتفهمك».

ـ بالامس حاولت إحدى العارضات التسلل إلى جناح الأمير... وكادت تصل. ويبدو أنها باعت قصة لإحدى الصحف البريطانية. لقد ساد

التوتر إدارة الفندق بشأن الإجراءات الأمنية. وعندما ذكر أحدهم بأنك مصورة كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير.

أدركت الكسا للتو من الذي قام بذلك! إن أمير داسيا لا يتوانى مطلقاً عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرارات سريعة وقاسية.

قالت بمرح: «لا تقلقي. سوف أبقى بعيدة عن الفندق. هل يحتمل أن يكون للأمر أي تأثير عليك؟».

أكدت لها كارول بجدية: «علي أنا؟ كلا، الكسا، مايك يعرف أنك جديرة بالثقة، لكنه يتعرض للضغط من قبل أحدهم، ولا يمكنك إلقاء اللوم عليه. إنما من المؤسف أن تكوني أنت من يدفع الثمن. علي الذهاب الآن، شكراً لك الكسا».

وضعت الكسا السماعة بهدوء ومشت ساخطة باتجاه النافذة وفتحتها، فاندفع الهواء القادم من الميناء إلى الداخل مشبعاً بالدخان وحاملاً معه ضجيج المدينة.

تحدّثي عن سوء استخدام السلطة! هكذا فكرت بانتقام. لكم تتمنى أن تقول للأمير لوكا رأيها بأولئك الذين يستغلون مراكزهم لتهديد الآخرين.

نظرة سريعة إلى ساعتها أعلمتها أنّ لديها نصف ساعة فقط قبل الذهاب لممارسة الرياضة والتخلص في الوقت نفسه من هذا المزاج العكر وذلك الشعور بالحرمان الذي لا مبرر له والذي لا ينفك يتابها.

إنها امرأة عصرية بينما يبدو لوكا وكأنه قادم من العصور الوسطى.. إنه متحفظ لا يبالي بالمشاعر الشخصية، كما أنه قاس، متحجر القلب ومتسلط حتى الصميم. لا يوجد بينهما قواسم مشتركة. أما بالنسبة لذلك الانجذاب المتهور وغير المناسب فإنه لن يلبث أن يزول.

بعد مضي أسبوع كانت الكسا تتصفح الجريدة، إلا أن الأمير الأرستقراطي المتسلط بشكل مهلك لم يظهر في الصورة الأخيرة التي التقطت للمصرفيين على درج المتحف. كانت تدهن قطعة التوست بالزبدة بحركة حادة بواسطة السكين، فقالت وكأنها تخاطب المطبخ الفارغ: «أتساءل إلى

أي حد يمكن لزير نساء وسيم أن يقوم بوظيفته كمصرفي».

نظرة سريعة من النافذة كشفت لها عن يوم خريفي لطيف، رائع للسفر. فراحت تخطط لقضاء عشرة أيام رائعة، تضفي خلالها رونقاً على بشرتها السمراء، وتمضيها في منزل والديّ إحدى صديقاتها على شاطىء إحدى الجزر التي تبعد أربعة آلاف ميل شمالي أوكلاند. لقد تم ترتيب كل الأمور؛ سوف تقضي أياماً رائعة من الوحدة تلتقط خلالها أروع الصور التي تسمح لها بالفوز في المسابقة.

كانت لا تزال تمضع التوست بالعسل، فالقت نظرة باردة إلى الجريدة.

في صباح اليوم التالي لتلك المقابلة الجليدية مع الأمير، عادت تلك الصحفية لتكتب متسائلة بخبث:

ـ ما الذي يحصل بين الأمير الرائع والمصورة الفاتنة؟ إن المراقب الذي شاهدهما معاً في الليلة الأولى للمؤتمر، شاهد المصورة تخرج من المصعد الخاص بجناح الأمير وكان شعرها مبعثراً بشكل واضح.

إذاً، لقد اقتنع الأمير الآن أكثر بأنها من تسرب المعلومات إلى تلك الصحيفة الحقيرة. لكن ألكسا لا تهتم لهذا الأمر، هذا ما قالته وهي تطلق ابتسامة مشرقة... ثم تستلقي.

وبعد ثلاث ساعات، كانت تقود سيارة أصدقائها القديمة في الطريق المنعرج الضيق، وهي تفكر بأن تلك الجزيرة هي المكان المثالي لتطرد سحر ذلك الرجل الخطير من رأسها.

لقد بنى آل تورنتون منزلهم في الجهة الأكثر تعرضاً للأمواج والرياح من الجزيرة بدلاً من الجهة المقابلة، وكان ذلك مناسباً تماماً لمزاج الكسا. كما ناسبها المنزل المريح، الرابض على الشاطىء الرملي والذي بدا رائعاً. كما تتوقع الأرصاد الجوية استمرار الطقس المتقلب وذلك حتى عودتها إلى أوكلاند.

كانت ألكسا عازمة على التمتع بوقتها. فتحت الأبواب الزجاجية وأعادت تشغيل التيار الكهربائي والمياه في المنزل ثم راحت تفرغ حمولة

السيارة. وما إن انتهت من ذلك حتى اتصلت بصديقتها سالي تورنتون لتخبرها أنها وصلت سالمة.

توجهت بعد ذلك إلى الشاطىء لتقوم بغطسة سريعة وتغتسل من آثار الغبار الذي علق بجسمها خلال الطريق. أخيراً ها هي ترتدي بنطلوناً قصيراً من القطن وبلوزة خضراء دون أكمام أضفت بعض اللون على عينيها، وراحت تجوب المكان على مهل وتحدق إلى البحر. قالت وهي تشعر بالرضى: «لا يلوح أي منزل في مدى الرؤية».

أما المزرعة المتهدمة الواقعة على الشاطىء والتي تختبىء وراء أشجار كبيرة وكثيفة فليست ذات أهمية.

ابتسمت وسحبت أربكة إلى الشرفة وراحت تحدق إلى الخليج بعينين شبه مغمضتين، بينما كانت ترسم في رأسها مخططاً لليوم التالي. فهي تنوي القيام بجولة لترى ما يمكنها أن تجد في الجوار، والتقاط صور بالأسود والأبيض. وفكرت أن عليها أن تلتقط ثلاث صور رائعة على الأقل.

لم تدرِ من أين خطرت لها صورة وجه لوكا وهو يتهمها بأنها سربت تلك الأخبار إلى الصحافة... وجه قاس ذو عظام قوية تضفي مهابة على صورته.

غمغمت بإحباط: «أوه، بحق السماء».

فمع أنها تدرك أنها جميلة إلا أنه من السخف أن تنتابها الهواجس بشأن رجل لم تقابله سوى ثلاث مرات. حتى وإن كان قد عانقها كأنه ملاك الظلام، فإن الشعور بالذنب بسبب عناق أصبح من مخلفات الماضي، منذ زمن أمها بل زمن جدتها!

ابتسمت الكسا ابتسامة عريضة عندما تذكرت جدتها. مشرقة، عصرية ومتعلمة بما يكفي لكي تربي ابنها وحدها، بينما كان من الأسهل تعطيه للتبني. وتلاشت ابتسامتها بشكل مفاجىء بعد أن شعرت بتيار كئيب من مشاعر الوحدة يلتف حولها.

لقد وصلت حياتها السعيدة الرائعة حيث الأمان والطمأنينة إلى نهاية

www.elromancia.com

مريرة. توفيت أمها بعد معاناة طويلة مع المرض وهي لا تزال في الرابعة عشرة من عمرها. وكانت قد نجت قبل ذلك بيومين فقط، وهي في طريق العودة من المستشفى، من حادث مروّع أودى بحياة أبيها وجدتها. لقد عانت من الصدمة والأسى لأنها أصبحت من دون أقرباء، لكنها احتفظت بذكريات سعيدة. لكن، ما هو نوع الذكريات التي يحتفظ بها لوكا أوف داسيا، ذلك الرجل الذي رضع عدم الثقة بالآخرين مع حليب أمه؟

أخرج من رأسي! هكذا أمرت الكسا الرجل الذي جعلها تنصرف من جناحه كأنها خادمة غير شريفة.

استيقظت الكسا في وقت متأخر من الليل من نومها العميق على صوت لم تتمكن من تمييزه جيداً. ارتدت عباءة من الصوف وخرجت لترى ما الأمر. كانت التلال تنتصب بقاماتها السرمدية قبالة السماء ومياه البحر التي تلمع كالزجاج المصقول تحت النجوم. هذا المنظر يجعلها عادة تشعر بسكينة داخلية عميقة، لكن هذا لم يحصل الليلة، فالوهج الدافىء المنبعث من المصباح الصغير في غرفة الجلوس كان ذا أثر أقوى عليها.

وفيما استدارت لتعود أدراجها استوقفتها نقطة مضيئة، فتوترت أعصابها. لا أحد يقطن في البيت القديم الواقع على الشاطىء منذ أن اضطر صاحبه لمغادرته وتمضية بقية حياته على البر الرئيسي.

قالت بصوت مرتفع: «حسناً، يوجد شخص ما هناك الآن».

لكنها جمدت في مكانها عند سماعها ضجة قادمة من البحر جعلت قلبها يخفق بسرعة قصوى. نظرت بعينين شبه مغمضتين فلمحت في الخليج زورقاً ضخماً؛ وإذا بها تكتشف أنّ الصوت الذي سبق أن سمعته هو صوت المجاذيف التي تدفع الزورق باتجاه الشاطىء. لم يكن الأمر غير اعتيادي، لكنها وقفت بلا حراك إلى أن أعادتها برودة الطقس الخريفي اللطيف إلى الداخل.

لم تتمكن الكسا من تحديد سبب الشعور المقلق الذي انتابها. عادت إلى السرير، لكنها هذه المرة أوصدت الباب المؤدي إلى الشرفة. لعل ذلك المنزل انتقل إلى مالك جديد، أو لعل أحدهم اقتحم المنزل وهو يقطن فيه الآن،

وإن يكن هذا الاحتمال الأخير ضئيلاً بالكاد يمكن أخذه بالاعتبار.

في صباح اليوم التالي كانت مياه الخليج تومض بلون أزرق مخضر بسكون تحت أشعة الشمس الساطعة. اتصلت ألكسا بسالي في أوكلاند وهي مقطبة الجبين.

قالت صديقتها بمرح: «نسيت أن أخبرك! بعد أن توفي السيد باتريك، اشترى المنزل مليونير فقام بهدمه وبنى مكانه. حسناً، إنه ليس منزلاً بل هو قصر! كما أنه اشترى نصف أراضي الخليج، لكني لا أعتقد أنه يقيم دائماً هناك، بل افترض أنه اشتراه بقصد الاستثمار».

أحست الكسا بالتسلية لفكرة أن أحدهم يشتري أرضاً في هذا المكان الرائع لهذا السبب المبتذل، فقالت بمرح: «يبدو أنه يقيم هنا الآن، فقد شاهدت ضوءاً ينبعث من هناك في الليلة الماضية».

ـ لا بد أن الضوء من منزل الوكيل الذي يبعد قليلاً عن ذلك المنزل. إنهما زوجان في متوسط العمر... إذا التقيت بهما فسوف تحبينهما.

ما كان عليها أن تشعر بالقلق في الليلة الماضية... فالزورق الذي رأته في الخليج كان على الأرجح يقل الوكيل إلى منزله بعد رحلة صيد! وبعد خمس دقائق كانت الكسا تعلق حقيبة صغيرة فوق كتفيها، وتعتمر قبعة وتضع نظارات شمسية وتحمل كاميرا والدها القديمة. إنه وقت الاستكشاف.

في منتصف الطريق على الشاطىء وعند أحد التجاويف، سمعت خربشة خفيفة في إحدى الشجيرات جعلتها تقف جامدة بلا حراك. يمكن أحياناً مشاهدة حيوانات الكنغر الصغيرة وهي تقفز فوق الرمال مضفية على الشاطىء طابعاً أسترالياً غريباً.

إن وجود فجوة في شجيرة يعتبر مؤشراً على وجود أحد الحيوانات هناك.

ضاقت عينا الكسا وهي تتفحص الضوء: إنه ممتاز، ومع وجود شجرة رائعة كالإيقونة في الخلفية سوف تحصل على صورة ممتازة.

سارت ببطء وصمت إلى أن تمكنت من تثبيت جسمها خلف صخرة ضخمة تحتها الأمواج وقامت بتجهيز الكاميرا.

بعد عشر دقائق من الانتظار بلا حراك تحت أشعة الشمس التي تضرب الصخور، شعرت الكسا بحكاك في أماكن متفرقة من جسمها وكانت تتوق إلى شرب الماء. لكن خبرتها أنذرتها بأن الكنغر المختبىء قد يقرر الخروج في اللحظة التي تحاول فيها شرب الماء، لأنه قد يجفل في مخبئه بسبب حركتها.

كانت تشعر بوخز في مؤخرة عنقها، فراحت تركز نظرها لتمنع نفسها من النظر إلى الخلف. إلا أنّ أيّ حيوان رمادي صغير لم يظهر على الشاطىء. كان نور الشمس يضفي على الرمال لوناً ذهبياً مائلاً إلى الزهري، ويومض بأشكال مدهشة فوق الأمواج الكسولة ذات البريق الزجاجي. زعق نورس من خلفها.. إنه على الأرجح يحاول الحصول على وجبة شهية. الكاميرا جاهزة، لكن ينتابها شعور غريب بأن أحدهم يراقبها.

لم تستطع مقاومة هذا الشعور طويلاً، وأخيراً أدارت رأسها بهدوء وحذر لتنظر مباشرة إلى عينين كالنار المتجمدة... عينين تعكسان الازدراء في وجه ضخم ومتسلط. شعرت بأن قلبها يتحطم داخل قفصها الصدري؛ فقفزت بحركة غريزية إلى الناحية الأخرى وسقطت الكاميرا فجأة من بين أصابعها المتخدرة، بينما كانت تحاول الحفاظ على توازنها.

شعرت بقبضة حديدية تمسك بها وتمنعها من السقوط بشكل مذل على وجهها، ثم تثبتها وقوفاً على قدميها فوق الرمال الرطبة.

سألها الأمير لوكا أوف داسيا: «هل تأذيت؟».

حاولت السيطرة على نفسها، فتحركت إلى الوراء لتفلت من اليدين الممسكتين بها واللتين انفتحتا على الفور لتحرراها: «أنا بخير».

ركعت على ركبتها لتلتقط غطاء الكاميرا، فإذا بها تطلق صرخة خوف خفيفة كأنها صادفت أمراً مشؤوماً.

سألها لوكا بخشونة واضحة: «ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟ إنها أملاك خاصة».

ـ لكنها ليست أملاكك أنت، وأنا حرة في أن أكون هنا.

كانت الكسا مصدومة لفرط الإثارة التي تشعر بها والتي تهدد بسحقها. وقفت ممسكة بالكاميرا المحطمة بإحكام ورفعت رأسها لتحدق بتحدٍ في فم كبير، مستقيم وشهواني بشكل خطير: «أنت المتطفل هنا ولست أنا».

بدا الجمود على ذلك الوجه الضخم القاسي.

تابعت الكسا كلامها بتهور: «إذاً، ماذا تفعل أنت هنا؟».

بدا لوكا للحظة وكأنه سيفقد برودته. وكانت الكسا تتمنى بقوة أن يحصل ذلك، فقد بدا لها ذلك أكثر عدلاً. لقد روّع هذا الرجل سكون حياتها، وأجفلها مسبباً تحطيم كاميرا والدها، التي هي أحد الأغراض القليلة التي بقيت لها من بعده، وها هو ينظر إليها بجسارة وكأنها بزاقة تزحف على خسته. أجاب بلهجة يمكنها أن تفتت الغرانيت: «أنا في عطلة».

قاومت الكسا رغبة قوية بأن تقول له أن يذهب إلى الجحيم فقالت: «وأنا كذلك».

كانت يدها تشد بإحكام على غطاء الكاميرا عندما أحست بوخز في إصبعها، لكنها قاومت رغبتها المفاجئة بالبكاء ونفضت يدها بعيداً.

ـ ما الأمر؟

أجابت بحدة: «لا شيء».

إلا أنه رأى الدم ينزف من إصبعها، فقال بضع كلمات غير مفهومة بلغة تشبه الموسيقى افترضت الكسا أنها لغة داسيا، ثم أمسك بيدها ورفعها نحوه ليتفحص الجرح: «هل بقيت نثرات الزجاج هنا؟».

غمغمت الكسا: «العدسة ليست مكسورة».

تراجع إحساسها بالألم أمام الاضطراب الذي تملكها. كيف يمكن للمسة رجل أن تسبب لها كل هذا الاضطراب؟

ـ إنه فقط جرح سببه كسر الغطاء.

سحب لوكا منديلاً من جيبه ومسح قطرة الدم عن إصبعها. كان

حاجباه مقطبين بتقطيبة رائعة، وهو يتفحص الجرح بعناية قبل أن يلف المنديل حول إصبعها، ثم رفع نظره ليجد أنها كانت تراقبه.

قابل نظراتها بعينين قاسيتين تعسكان بريق نور الشمس المتلألىء فوق صفحة المياه: «أين زورقك؟».

أجابت الكسا بارتباك بسبب الأحاسيس التي تستعر في داخلها: «زورق؟ أي زورق؟».

ومع أن أصابعه لم تكن تمسك بمعصمها بقوة، إلا أنها أدركت أن لا أمل لديها بالهروب.

قال ببرود الثلج: «ذاك الذي جئت فيه إلى هنا».

- إن الزورق الوحيد الموجود هو ذلك الذي وصل إلى الشاطىء ليلة البارحة... أما أنا فقد جئت في الواقع بسيارة...

ساد بينهما توتر وصمت مضجرين.. كانت أشعة الشمس الذهبية تنعكس على بشرة لوكا، ملقية ضوءاً قوياً على وجنتيه المتصلبتين، مظهرة بريق عينيه الذهبيتين. بدا أنه يفكر بجدية وبسرعة، ثم قال بتراخٍ وبصوت حريري: «الكسا، نحن في جزيرة».

- أعلم ذلك.

سألها برقة تكاد تكون مهنية: «إذاً، كيف تدبرت الأمر لتصلي إلى هنا بالسيارة؟».

ردت بغطرسة وبرود: «لا يحق لك طرح الأسئلة عليّ».

- أجيبيني.

شعرت الكسا بقشعريرة على امتداد عمودها الفقري، فقد تنبهت - وللمرة الأولى - لخطورة الموقف الذي هي فيه، فهي تقف وحدها على شاطىء مقفر مع رجل معتاد على دفع أجر لأقرب الناس إليه. فخلف وجه لوكا المصقول تكمن هيئة محارب مرعب ومتحجر القلب فعلاً.

لكنهما في نيوزيلاندا! إنه هو المتطفل هنا وليس هي.

قالت بشكل مفاجىء: «جئت بالسيارة وتركتها في موقف السيارات،

ثم استقللت المركب إلى الخليج الكبير ومن هناك قدت السيارة ذات الدفع الرباعي التي يركنها أصدقائي هناك إلى المنزل الذي يخصهم».

أرجعت رأسها إلى الخلف ثم تابعت: «... والذي يقع على الشاطىء. أما أنت، فهل نستنتج أنك المليونير الذي يقطن في الجوار؟».

ضاقت عيناه المختبئتان وراء أجفانه حتى بدتا كرقاقتين تشعان بالغضب: «أنا في الواقع أسكن في المنزل المجاور».

مع ساندرا تشامب؟

كانت الكسا غاضبة بسبب استجوابه لها.. وأكثر غضباً بسبب... وسحبت يدها بعيداً عنه.

أبعد لوكا أصابعه على الفور، إلا أنه لم يتراجع إلى الوراء، بل راح يراقبها بعينين ضيقتين وهي تفك المنديل عن إصبعها لتتفحصه.

قالت بشكل تلقائي: «لقد توقف النزيف».

بدا صوتها عادياً تماماً مثل كلماتها، مما جعلها تشعر بالارتياح، لأن جسدها كان في الواقع متوتراً والأدرينالين يندفع متسارعاً في داخله، مستعداً للهرب... أو الاستسلام...

أبعدت الكسا هذه الفكرة، وانحنت لتلتقط بقية نثرات البلاستيك الصغيرة التي تناثرت من غطاء الكاميرا المحطم. وبعد التقاطها كل النثرات التي تمكنت من رؤيتها، وضعتها في المنديل النظيف. حسناً... نظيف إلا من بقعة الدم القرمزي اللون التي نزفت من إصبعها.

قال لوكا محدثاً: «لقد فوجئت لرؤيتك تستعملين كاميرا قديمة كهذه».

شهقت الكسا بعفوية لم تخف الكآبة في عينيها وقالت: «هذه الكاميرا كانت لوالدي. فهو.. كان يهتم بالتصوير.. لقد اشترى لي أول كاميرا وعندما توفي.. تمكنت من إنقاذ هذه فقط».

عضت على شفتيها كي لا تقول المزيد.

قال لوكا بصوت عميق وبتهذيب بالغ: «إنقاذها ممَّ؟».

ردت بشكل عفوي: «عندما توفي والداي، أرسلت إلى الميتم فقامت

www.elromancia.com

المؤسسة الحكومية التي تولّت رعايتي ببيع كل ما كنا نملكه، ما عدا أغراضي الخاصة وبعض التذكارات».

سألها: «كم كان عمرك حينها؟».

نظرت إلى الأسفل نحو نثرة صغيرة من البلاستيك: «أربعة عشر عاماً».

قال بهدوء: «أنا أيضاً كنت في الرابعة عشرة عند ما توفيت والدتي».

رفعت الكسا بصرها بحدة إلى ذلك الوجه الوسيم، لتفاجيء تعبيراً فتت قلبها، لكنه ما لبث أن تلاشى.

قالت هازئة: «ليس هذا بالعمر المناسب لفقدان الوالدين».

ثم أضافت: «أنت بقي لك والدك على الأقل».

ـ اعتقد أن أيّ مرحلة من مراحل العمر ليست مناسبة لفقدان أحد الوالدين.

كان لوكا ينظر باتجاه منزل آل تورنتون: «كم ستمكثين هنا؟».

جاءت رغبته الواضحة في التخلص منها كصفعة على وجهها. للحظة خلت، ظنت أنهما قد توصلا إلى نوع من التفاهم. هزت كتفيها قائلة: «عشرة أيام. لكن ذلك غير مهم، فلا تخف... سوف أبقى بعيدة عن طريقك. يمكنك دائماً أن تتجنب رؤيتي وأن تسبح في حوض السباحة الخاص بك عوضاً عن النزول إلى الشاطىء الذي يمكن أن يكون خطيراً».

سأل بصوت ناعم كالحرير، وأجفانه الثقيلة تغطي عينيه: «هل كنت تتلصصين عليّ، الكسا؟».

أجابت برد سريع وبتحدٍ: «ما من ضرورة لذلك، فأصحاب الملايين يملكون دوماً أحواض سباحة، إنها جزء من حياتهم تماماً كالارتياب».

والغطرسة...

رسمت على وجهها تعبيراً هادئاً، وحملت المنديل الملطخ ببقعة الدم الذي يحتوي على حمولة قطع البلاستيك.

ظل لوكا بلا حراك وقسماته البارزة تبدو كالحة. وساد بينهما توتر

مخيف بينما كانت الأمواج تضرب رمال الشاطىء، والشمس تشق طريقها محرقة وثقيلة كأيام الصيف، مظهرة اللون الأزرق في أعماق شعر لوكا الأسود، ومبرزة بلطف معالم وجهه.

قاومت الكسا رغبة ملحة في الهروب.

أخيراً تناول لوكا المنديل من يدها، لكن ألكسا لم تتمكن من الاسترخاء.

قال بلهجة صادقة: «الكسا، أنا أنشد الخصوصية. وسوف أكون سعيداً بترتيب عطلة لك، تقضينها أينما شئت... هاواي، شمال أوستراليا، ايسلندا. إن انكلترا تبدو رائعة في الربيع».

نفضت شعرها إلى الوراء، لتبعده عن وجهها الذي زادت سخونته بشكل مفاجيء. وقالت وعلى وجهها ابتسامة متوترة: «ربما يمكنك أن ترسم حدوداً على الشاطىء بواسطة عصا، وأنا أعدك بأني لن أتخطاها».

كان الصمت الذي ساد بينهما بعد هذه الكلمات المتهورة سريع العطب، تماماً ككاميرا والدها، إلى أن قال لوكا: «لكن، إلى أي حد يمكنني أن أثق بكلامك؟».

كانت الكسا تدرك أنها ستندم إذا ما سمحت لطبعها السلس بالفوز، لكنه كان في تلك اللحظة يسبب لها الانتعاش.

فقالت بتحد بارد: «تمتع بما تبقى من إقامتك في نيوزيلاندا».

وأومأت بيدها بحركة رشيقة مودعة.

ما هي إلا برهة حتى كانت أصابع لوكا الطويلة تلتف حول أصابعها، وإذا به يرفع يدها نحوه ويطبع قبلة على جرحها.

كانت أجفانه الثقيلة تخفي عينيه المعدنيتين، وما إن لامست شفتاه بشرتها حتى شعرت بأنها تخترق حدود أرض متوحشة مجهولة.

انتزعت يدها بقوة وراحت تحدق فيه، شاحبة الوجه محاولة التمسك برباطة جأشها وقالت وهي ترتعش: «أهكذا تقولون وداعاً في داسيا؟».

قال متشدقاً: «بل هكذا نقول في داسيا أرغب بك بقوة. لماذا تبدين

مرتعشة؟ أنت تعلمين ذلك من قبل؟».

ثم تابع بشكل لا يمكن التسامح فيه: «وأنت ترغبين بي أيضاً. آمل أن تكوني قد وجدت ذلك مثيراً، كما وجدته أنا».

رغبت الكسا في صفع نفسها لأنها أتاحت له الفرصة ليتفوه بهذا الكلام.

ابتلعت ريقها: «أنا ذاهبة، وداعاً».

جاءت ضحكته خفيفة وغير مسلية، بل ساخرة تماماً: «أعتقد أننا سنتقابل ثانية».

ـ ليس إذا ما رأيتك أنا أولاً.

سارت بسرعة، بادئة رحلة العودة إلى المنزل.

مشت بخطى ثابتة بموازاة الشاطىء، وهي تشعر بنظراته وكأنها تثقب ما بين كتفيها. فإذا بالنزهة الممتعة التي استغرقت خمس دقائق خلال رحلة الذهاب، تبدو الآن وكأنها تستغرق ساعات، وحين وصلت إلى المنزل، كانت في حالة مزرية من الظمأ وتشوش الذهن.

قالت بنبرة قوية: «حسناً، اشربي الماء في المرة القادمة».

خلعت الحقيبة عن كتفيها وفتحت قنينة الماء وراحت تشرب السائل الفاتر، ثم وضعت القنينة جانباً بتحدٍ أحدث ضجة خفيفة.

قد يكون لوكا أوف داسيا راغباً بها، لكنه بالتأكيد لا يحبها. حسناً، إن هذا الشعور متبادل بينهما تماماً.

يا للمصادفات الغريبة! لماذا لا يمكنها أن تضبط لسانها؟

في كل مرة تراه فيها تنهار ثقتها بنفسها أمام ذلك التأثير المدمر لرجولته. إنه يشل حواسها وإرادتها كساحر غامض ويجعل هرموناتها تتحرك بجنون.

قالت تبرر لنفسها: إنه أمر بسيط، فأنت مفعمة بالحيوية. ولوكا أوف داسيا يملك من الوسامة ما يكفي لدار أزياء بكاملها. إنه بالطبع يحرك مشاعرك.. وإن لم يكن كذلك فأنت مصورة بائسة.

إذاً، لمَ لا تغادر الجزيرة؟

إن انسحابها الآن سيكون نوعاً من الانتصار له، في هذه الحرب الضارية الدائرة بينهما. فإذا ما ألقت سلاحها الآن وعادت أدراجها فذلك سيعني الاستسلام.

راح ديون يراقب أميره وهو يسير عبر الغرفة بخطوات واسعة، ثم يتوقف أمام النافذة. فسأله بلهجة حيادية: «ماذا قررت أن تفعل؟».

قال لوكا بصوت أجش: «ليس لدي خيار. ألكسا مايتون سوف تتكتم على مكان وجودنا لتتمكن من جني أقصى ما يمكنها من المال لقاء صورها والنسخ عنها، لكن إذا ما أعلنت عن مكان وجودنا فسوف يتدفق الصحفيون إلى هنا خلال ساعات. لقد كشفت جماعة سانتا روزا مساء أمس أنها قامت بمباحثات مع الحكومة النيوزيلاندية التي تتحضر لإرسال قوة لحفظ السلام ما إن يتم التوقيع على الإتفاقية. لكنهم يريدون الحفاظ على السرية، وسوف يصبح غاي في خطر حقيقي إذا ما تسربت أخبار هذه اللقاءات إلى الخارج».

قال ديون بإلحاح: «ذلك سيحصل فقط إن لم نصل إليه أولاً».

أجاب لوكا: «إذا قمنا بأيّ محاولة لإنقاذه نكون قد تخلينا عن كل فرصة لتحقيق السلام هنا».

وقست نبرة صوته وتحولت إلى ضراوة وهو يضيف: «أنا أدرك جيداً ما معنى انعدام الثقة بالآخرين».

لهذا السبب لا يمكنه أن يدع رغبته بحسناء حمراء الشعر تقف في طريقه.

أجبر نفسه على تجاهل رغباته وتابع يقول: «إذا لم تكن الكسا مايتون نفسها من أولئك الصحفيين الفضوليين، فلا بد أن تكون على صلة بأحدهم، وأنا لن أخاطر بحياة قريبي من أجل عينيها البراقتين».

وجسدها الذي لا ينفك يعذب أحلامه. ابتسم بقسوة لا تنم عن التسلية: «كما اعتاد والدي أن يقول «لا تثق بأحد على الإطلاق وخاصة

بالمرأة».

علّق ديون وهو يراقبه عن كثب: «يا له من أسلوب سخيف للحياة».

ـ لكنه ناجح تماماً.

لكي يتمكن من حماية جزيرته من الاجتياح، تزوج والد لوكا من الابنة الوحيدة للدكتاتور الذي كان يهدد بسحق حرية الداسيين، وانجب منها ولداً، لكنه لم يثق بها مطلقاً خلال سنوات الزواج الخمس عشرة.

راح لوكا يستعيد في ذاكرته صورة تلك المرأة الهادئة الحزينة التي أحبته، وقال: «كان بالامكان ألا أشك بالآنسة مايتون لولا تلك الأخبار اللعينة التي وردت في الصحف. لكني لا أجرؤ على ذلك بسبب هذه الأخبار. لا يمكن أن أسمح لها بإخبار أي كان عن مكان وجودي».

أومأ ديون برأسه قائلاً: «أوافقك الرأي. حسناً، بالعودة إلى موضوعنا. ماذا ستفعل؟».

هز لوكا كتفيه وقال بصوت بارد مهلك: «سأقوم بما علي القيام به».

ـ ستضع ثقتك بجماعة سانتا روزا؟

أجاب لوكا ببرودة: «أوه، كلا! أريدك أن تجهز فرقة لتخطف غاي؛ أرسلهم إلى أقرب مكان يمكن الوصول إليه من سانتاروزا، دون أن يشعر السكان بهم، واطلب منهم أن ينتظروا فلا يقوموا بأي عمل قبل أن تتصل بهم».

أومأ ديون: «ماذا ستفعل بشأن الآنسة مايتون؟».

ـ قم بتحقيقات عنها مرة أخرى، ولتكن أكثر شمولاً. أريد أن أعرف كل شيء عنها.. أصدقاؤها، عائلتها، سمعتها المهنية، عشاقها، حسابها المصرفي...

طرقة على الباب جعلت الرجلان يستديران. قال لوكا: «أدخل».

دخل رجل في متوسط العمر تبدو عليه البساطة وانحنى احتراماً. وبعد أن رحب به لوكا قال: «جلالتك، إن المرأة تلتقط صوراً».

شعر لوكا بتقلص في معدته، كأنه تلقى ضربة موجعة، فانتابه الغضب

بسبب دلالة الضعف هذه. وسأل الرجل: «أي نوع من الصور؟».

وذهل لبقاء صوته محافظاً على رصانته.

ـ إنها تصور الرمال، وبعض العصافير، إنها تلتقط الصور بموازاة الشاطىء.

تبادل لوكا ورئيس جهازه الأمني النظرات قبل أن يقول: «شكراً لك، اذهب وتابع المراقبة».

بدا التردد على الرجل، فسأله ديون: «ما الأمر؟».

قال الرجل بلهجة الإعتذار: «أظن أني كنت مهملاً وتركت عدسات المنظار تتعرض كثيراً لاشعة الشمس».

قال ديون بتجهم: «حاول ألا تكرر ذلك مرة أخرى».

حياهما الرجل وقام بانحناءة أخرى قبل أن يخرج.

قال لوكا بحدة مميتة: «سأقوم بزيارة أخرى للآنسة مايتون».

أجفل كلامه الرجل الآخر، لكن شعوراً بالخيبة كان يستحوذ عليه ويتآكله لدرجة جعلته يكاد يختنق. لقد تمكنت ألكسا مايتون الجريئة والمتقدة بالحيوية منه بشكل ما، مما جعل من الصعوبة ألا يفكر بها.

لكنه لن يثق بامرأة على الإطلاق، بعد تلك الخيانة الأولى فيما يتعلق بعلاقتهما القصيرة. حسناً، لقد كان ذلك درساً تعلّمه بشكل جيد.

* * *

٤ ـ كالبركان

أخرجت الكسا الفيلم من الكاميرا وهي تقول لنفسها بصرامة، إن شعورها بالقلق أمام لوكا يعطيه سلطة عليها. لكنها لا تأبه له، وأكملت بصوت مرتفع: «على الإطلاق».

إنه ينتمي إلى عالم آخر، عالم ساحر وغريب حيث الواجب هو أهم شيء، بينما لا يساوي الحب شيئاً. أما هي فتعرف تماماً ما الذي تريده في هذه الحياة... مهنة جيدة ورجلاً تحبه وعدداً من الأطفال. تريد أسرة تعوّضها عن أسرتها التي انتزعت منها بقسوة، وأن تعيش حياة عادية بكل ما فيها من أفراح وأحزان. أما لوكا فهو شخص غير عادي.

أحست بأن الجو من حولها قد أصبح أكثر ثقلاً، فأدارت رأسها، وإذا بها تراه واقفاً بالباب بقامته الفارعة وجسمه النحيل. أصابتها المفاجأة بقشعريرة كادت تفقدها أنفاسها، وخالجتها مشاعر من الخجل والغضب معاً.

أمسكت بالعلبة التي تحتوي الفيلم بإحكام، وقالت بفظاظة: «لم أسمع طرقك على الباب».

ـ لم أطرق الباب، كما أني لا انتظر دعوة للدخول إلى هنا.

تقدم باتجاهها وراح ينظر حوله متفحصاً المكان بدقة. أنهى تفحص الغرفة، ثم أجرى مسحاً سريعاً لمحتوياتها: الكاميرا على الطاولة، الفيلم في يدها والحقيبة الخاصة بالأفلام والتي تحتوي على العديد منها.

قالت بهدوء وبنبرة متعاطفة: «إنك في أمان تام».

لا أحد يمكنه العيش بهذه الطريقة، مترقباً بصورة دائمة أن يكون مستهدفاً من قبل شخص ما.

ـ ما من مصورين مختبئين هنا، ينتظرون للانقضاض عليك.

ـ ماذا عن الكاميرات الخفية؟

قالت باختصار: «كلا، ولمَ قد يكون هناك كاميرات؟ لأي أمر أدين بشرف...».

تباطأ صوتها عند هذه الكلمة بسخرية واضحة: «هذه الزيارة؟».

ضاقت عيناه: «جئت إلى هذه الجزيرة أنشد عطلة خاصة. وأنا أعلم أنك على اتصال مع من نشر أخباراً في ذلك العمود في الصحيفة، وأنك صديقة منظمة المناسبات في الفندق، فمن الطبيعي أن أشعر بأن وجودك هنا مريب».

هل يشك بكارول؟

رفعت ذقنها وقالت: «فضلاً عن أنها ممتازة في وظيفتها، فإن كارول مولوي تحترم مهنتها بالدرجة الأولى.. ولا يمكن أبداً أن تزود ناشري الشائعات في الصحف بالمعلومات».

ـ أنا لم أقل إنها فعلت ذلك.

ـ لكنك ألمحت إلى ذلك! لا تستحق كارول أن تلام على...

قاطعها بتلميح ساخر: «أنت مخلصة جداً».

قالت الكسا بشراسة: «لقد كانت جيدة معي حين احتجت إلى مساعدة، ولا علاقة لها بكل هذا الأمر».

تجاهل أمر كارول، وأجابها بلا مبالاة متعجرفة جعلتها على حافة الغضب: «هذا لا يهم الآن، إنها ليست داخل اللعبة، لكن أنت بلى».

قالت الكسا بصوت مروع: «كل ما أرغب فيه هو تمضية عطلة هادئة لألتقط خلالها صوراً للمسابقة! أنا لست مهتمة أبداً.. أكرر أبداً، أبداً، أبداً... بك أو بمن يقوم بزيارتك!».

مرة أخرى ظهرت تلك النظرة القصيرة والمحجوبة، حادة ومميتة كأنها

نصل خنجر مذهب، فبدت غير منسجمة مع رقة وهدوء نبرته عندما قال: «أنا لا أثق بك الكسا مايتون، فأنا لا أؤمن بالمصادفات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالصحفيين. إن نشر خبر لمرة واحدة في زاوية الشائعات قد أعتبره خطأ، أما نشر خبرين فيدعو للارتياب، وثلاثة...».

رددت الكسا مجفلة: «ثلاثة؟».

- نعم ثلاثة. لقد كتبت بالأمس أننا نمضي الوقت معاً على جزيرة رومنسية.

فتحت الكسا فمها مشدوهة: «لا أصدق ذلك».

راح رأسها يدور باحثاً عن الأشخاص الذين يعرفون مكان وجودها... إنهم أصدقاؤها، وهؤلاء ليسوا بالتأكيد ممن يزوّدون مروجي الشائعات في الصحف.

قال بتهذيب بالغ يرشح بالازدراء: «يمكنني أن أريك الصحيفة إذا أردت التأكد».

عضت ألكسا على شفتها قائلة: «كلا، طالما أنك تقول ذلك فأنا أصدقك. لكن هذا يبعد كارول عن الشبهة، فهي لا تعلم أنني أتيت إلى هنا».

- سبق أن قلت لك إنني لست مهتماً لأمر كارول مولدي.

توقف قليلاً عن الكلام، لكنها ظلت صامتة فتابع: «أريد الحصول على كل الأفلام التي بحوزتك وسأدفع لك ثمنها. فأنا أحتقر أولئك الذين يبتزون الأموال عن طريق التهديد بنشر الفضائح».

انفجرت قائلة: «كيف تعرف تلك الصحيفة الحقيرة بمكاني؟».

وتابعت كلامها مذهولة: «كما أني لا أنوي التجسس على أحد لأبيع صوراً للصحف... حتى لو كان هذا الشخص أنت، وحتى لو وقفت عارياً أمامي».

التمعت عيناه: «ألا يهمك مقدار المبلغ الذي قد يعرض عليك؟».

ردت بسرعة: «كلا».

سأل وهو يرمقها بنظرة فيها ارتياب: «هل يستعمل المصورون المحترفون عادة العناق للوصول إلى أهدافهم بعيداً عن المتاعب؟».

أثار هذا الإتهام الواضح سخطها، واشتعلت غضباً لهذا الظلم الواضح في كلامه: «أنت من عانقني».

قال ببرودة: «كان ذلك اختباراً لك. كان بإمكانك أن تقاومي وكنت سأتركك تغادرين، لكنك لم تفعلي».

كان يراقبها بعينين قاسيتين محللتين: «لماذا؟».

اختبار! اختفى اللون من وجه الكسا، وأحست بالغضب الشديد. عليه اللعنة، إنه على حق. فهي قد استسلمت له بصورة تامة وإلى حد مريب، كأنها تلميذة مدرسة تذوق طعم العناق للمرة الأولى.

وبسبب حدة الانفعال، الذي لم تكن تشعر بوجوده في داخلها من قبل أن تلتقي هذا الرجل المتسلط، كادت الأمور تخرج عن سيطرتها. والآن حان الوقت للتفكير الهادىء. ابتسمت ابتسامة باردة وقالت: «مهما يكن، لا علاقة لهذا الأمر بالتصوير الذي هو مهنتي وهوايتي».

- ماذا كنت تفعلين على الشاطىء؟

- أحاول التقاط صور تظهر الفرق بين طقس الصيف وطقس الخريف.

رفع حاجبيه مما جعلها تكمل حديثها: «إن التغيرات الطفيفة بين مختلف الفصول تثير فضولي، وسوف ألتقط هذا الفرق يوماً ما».

كان لوكا يرفع حاجبيه بطريقة ساخرة، أظهرت أنه لم يصدق كلمة مما قالته: «يمكننا أن نقوم بذلك بسهولة أو بصعوبة».

حدقت فيه بتمرد وسألته بسرعة: «سهولة بالنسبة لمن؟».

جاءت ابتسامته ساخرة لكنها تنم عن خبرة بالناس: «أعطني الكاميرا والأفلام، وعديني بألا تلتقطي المزيد من الصور. وسوف أعيدها إليك عندما تغادرين المكان».

رفعت الكسا حاجبيها السوداوين فوق عينيها الشاحبتين المضطربتين، وسألته: «والطريقة السهلة؟».

راح يضحك بشكل غير متوقع: «هذه هي الطريقة السهلة، أما إذا رفضت فسوف أضعك تحت المراقبة».

كانت تتميز غيظاً وهي تمعن النظر في ملامح التسلية البادية على وجهه، أما لوكا فكان يراقبها وهي تبحث عن كلمات مناسبة للرد عليه. وبعد أن تمكنت من ايجاد ما يكفي من الكلمات، قالت بهدوء وبرودة: «نحن هنا في نيوزيلاندا، ولسنا في إمارتك الخاصة. إذا تجرأت ورفعت إصبعاً علي فسوف أقاضيك بتهمة التهجم عليّ. ولا تظن أن لقب الأمير سيعفيك من المحاكمة هنا، فنيوزيلاندا دولة ديموقراطية».

أجابها بتبرم: «كذلك هي داسيا، أما بالنسبة للمسك...».

وراحت نظراته تتفحص وجهها. اضطرمت النار في جسدها تحت وقع نظراته الحارقة. وبدا صدرها متوتراً وثقيلاً تحت بلوزتها القطنية الرقيقة.

سألها برقة وهو يتفحصها بنظرة سريعة فيها ازدراء: «من سيصدقك؟ أنت تتجاوبين معي بقوة، بشكل يجعلني لا أجد صعوبة في اقناع المحققين بأنك جئت بصحبتي إلى هنا، ثم حاولت ابتزازي لكي أدفع لك مالاً. سوف تصبحين عندئذٍ مشهورة... وقد تجنين بعض المال من بعض الصحف... لكن إذا كنت حقاً مصورة محترفة فسوف تفقدين مصداقيتك».

قامت الكسا بحركة تنم عن خوفها، ثم رفعت رأسها بتحد: «لن تجرؤ على القيام بذلك».

هز كتفيه: «بلى».

قال ذلك بلطف وصدقت كلامه على الفور.

تغير صوته وصار أكثر عمقاً، وتحولت ابتسامته إلى الدفء والدعابة مما جعلها تشعر وكأنها تلقت صدمة في قلبها: «الكسا، الخصوصية مسألة هامة بالنسبة لي. هل بامكانك أن تتمتعي بوقتك هنا بكل بساطة، ودون التقاط الصور؟».

أدركت الكسا على الفور أنه يحاول السيطرة عليها بفتنته، ومع ذلك

فقد غمرها سحره هذا بموجة من الأحاسيس، إلا أنها سيطرت على توتر جسدها وقالت: «أعتقد... إنني أفهم... أن الإشاعات التي تنشرها الصحف تسبب لك الغضب والإحباط، وأدرك لما أنت مرتاب هكذا...».

- إذاً، أنت توافقينني الرأي بأن لدي أسباباً لأكون كذلك؟

- لقد قلت لك ذلك لتوي، لكن أنا أيضاً لي الحق بأن أبقى هنا مثلك تماماً. أقسم لك بأنني لن ألتقط أيّ صورة لك.

وأضافت مبالغة في تطمينه: «ولا لأي من زوارك. لكن أرجوك إذهب الآن».

ثم استدارت مبتعدة.

تبعها لوكا بخطوتين واسعتين، وأوقفها ممسكاً بكتفيها بقبضة محكمة. وقبل أن تتمكن من القيام برد فعل، أمسك بيدها التي تحمل الفيلم مبعداً أصابعها بقوة. أفلتت العلبة من يدها فقام بالتقاطها بحركة رشيقة منه. أما الكسا فقد أفلتت من قبضته.

شعرت بالإهانة فاندفعت بجرأة، إلا أنه دفعها بيد قوية عديمة الرحمة. قال بخشونة بينما كان يحاول فتح الغطاء لاستخراج الفيلم: «يا لك من امرأة عنيدة».

تخلت الكسا عن محاولتها لمهاجمته عندما أدركت أنه ينوي تعريض الفيلم للنور، وصاحت: «كلا».

تجهم وجهه وتوقف، بينما راحت عيناه الباردتان القاسيتان كالكريستال تتفحصان وجهها، ثم قال متشدقاً: «أهو خوف على الإبداع، أم على خسارة مبلغ ضخم من المال؟».

فتحت الكسا فمها، لكن قبل أن تتمكن من النطق بكلمة، تابع حديثه بفظاظة: «حسناً، سوف أحتفظ به لأظهره وأرى الصور أولاً».

أدركت أن لا أمل لها في استعادة الفيلم، فقالت بلهجة فيها توبيخ، مع أنها تعلم أن ذلك سيكون دون جدوى: «هذا لطف منك».

تمنت في تلك اللحظة لو أنها تعلمت فن الدفاع عن النفس! فلا شيء سيمنحها السعادة في تلك اللحظة أكثر من تلقينه درساً موجعاً. إلا أن منطق الأمور جعلها تدرك بأن هجومها عليه، سواء كانت مدربة أم لا، لن يعطي نتيجة. تحرك لوكا بسرعة وبراعة مقاتل محترف، مستخدماً قوته بشكل يسمح له بابقائها بعيدة عن الفيلم، ومع ذلك ظل يراقبها مستعداً للرد على أيّ محاولة تقوم بها لاستعادته.

علمت الكسا أنها تخوض معركة خاسرة، فقالت بصوت خفيض: «سوف تدفع الثمن ذات يوم، أعدك بذلك. أما الآن، وقد حصلت على ما جئت من أجله، فاخرج من هنا».

فقال: «ليس قبل أن أحصل على كل ما لديك من آلات تصوير».

ـ سوف انتقم منك ذات يوم، وأجعلك تدخل السجن لسنوات.

أجاب بايجاز: «أشك في ذلك».

ثم أكمل قائلاً: «إذا لم تعطني كل معدات التصوير التي تملكينها، فسوف أرسل أحد أولئك الأتباع، الذين تهكمت بشأنهم ذات مرة، ليفتش المنزل».

ردت بسرعة: «أفضل ذلك. فعلى الأقل هو سوف يقوم بعمله فقط».

ـ هل هذا ما تريدينه؟

ترددت قليلاً ثم قالت معترضة: «كلا».

ـ أرني آلات التصوير المتبقية لديك.

قالت غاضبة: «هذه هي آلة التصوير الوحيدة لدي هنا، وإذا قمت بتحطيمها هي الأخرى فسوف...».

قال مكرهاً: «لن أحطمها. أريد أيضاً كل الأفلام الأخرى التي قد تملكينها».

كشرت الكسا عن أسنانها: «جدها بنفسك».

زمت شفتيها وهي تراقبه حين رفع الحقيبة وألقى نظره إلى داخلها. ثم قال بلطف: «سوف أعيدها إليك بالتأكيد. والآن أريد هاتفك النقال».

بالطبع، فإذا كانت صحفية سيكون الهاتف النقال وسيلة منطقية لإرسال المعلومات ونقل الرسائل. كان الهاتف موضوعاً في المكتبة، لكنها تكون ملعونة إذا قامت لتسلمه له بخنوع.

قالت باندفاع متهور: «خذه بنفسك، أنا لست خادمة عندك، فلا تتوقع مني أن أنحني أمامك وأقوم بتلبية طلباتك».

أجابها بنبرة تفتت الغرانيت: «أنت لست أحد رعاياي. لذا لا أتوقع منك أكثر من مصافحة رسمية».

انتظرت الكسا إلى أن حمل الهاتف ووضعه في الجيب العلوي لسترته الأنيقة، قبل أن تقول بتزمت هش: «من عادتي أن أتصل بصديقتي صباح كل يوم».

فقال بدماثة: «إذاً، سوف آتي إلى هنا صباح كل يوم لتتمكني من الاتصال بها. لكن لسوء الحظ علي أن استمع إلى محادثتكما».

رمقته الكسا بنظرة باردة: «ستكون تلك نزهة ممتعة بالنسبة إليك».

ابتسم لكنه تابع قائلاً: «هل لديك كومبيوتر؟».

ـ نعم.

بدا عليه التردد، فقالت برد مشاكس: «لا يوجد خطوط هاتف هنا. إذاً، فلا يمكنني ارسال شيء عبر الكومبيوتر».

ـ لمَ أحضرته معك إذاً؟

انفجرت قائلة: «هذا ليس من شأنك».

فأجاب بهدوء فيه تهديد مبطن: «لكنك مع ذلك، سوف تجيبين عن سؤالي».

هزت الكسا كتفيها: «حسناً، أستخدمه لأسجل معلومات عن شجرة عائلتي».

تغضن جبينه وقال: «إنها هواية غير اعتيادية لشخص في مثل سنك».

قالت بنعومة، مطلقة ابتسامة ساخرة: «قد يكون الأمر عادي بالنسبة لأولئك الذين ينتمون إلى أسر ذات تاريخ معروف، لكن أسرتي ليست

www.elromancia.com

كذلك، ولأنني أنا الشخص الوحيد المتبقي من هذه الأسرة، فأنا مهتمة جداً بمعرفة إذا كان لديّ أقرباء».

ـ هل أنت وحيدة تماماً في هذا العالم؟

رفعت ذقنها: «لدي العديد من الأصدقاء».

وكانت لهجتها تقول بشكل مبطن: أكثر مما لديك أنت.

انعقد حاجباه معاً وقال: «إنك تنزفين».

تتبعت نظراته باتجاه يدها، بينما وضع لوكا معداتها على الطاولة وخطا عبر الغرفة إلى حيث تقف. يبدو أن المشادة التي حصلت بينهما، جعلت الجرح في إصبعها ينفتح وينزف من جديد.

تلوّن خداه المتعجرفان واشتعلت الحرارة في عظامهما، وقال بصوت خشن: «أنا آسف، لم أقصد أن أسبب لك الأذى».

ثم رفع يدها يتفحّص الجرح، كبحت الكسا لهاثها، بعد أن استحوذت عليها مشاعر جارفة للمسة يده.

لن تستعيد أنفاسها حتى تحرر يدها منه، لكن حركتها جاءت متأخرة، فقد أمسك لوكا بها وقربها إليه محدقاً في عينيها بنظرة مفترسة، كشفت له كل ما يضج في داخلها من أحاسيس.

الكلمة الوحيدة التي ماتت على شفتيها، هي اسمه. وإذا بها تذوب تماماً بين يديه، هائمة على غير هدى في بحر مجهول.

إذا كان العناق الأول كالديناميت، فقد جاء هذا الأخير كالبركان. هكذا فكرت وهي مشوشة الذهن. لكنها سوف تفكر بذلك لاحقاً...

كانت غارقة تماماً بفتنته، حتى أنه عندما رفع رأسه، راحت عيناها تلاحقانه بحركة لا واعية، كأنها تسعى إلى استعادة ذلك السحر.

ضحك لوكا برقة، والتفت ذراعاه حولها، وراح يشدها أكثر نحوه وسألها: «ما الذي تريدينه؟».

استحضرت الكسا كل ما لديها من قوة إرادة لتطرد بقسوة تلك الصور التي تزدحم في رأسها.

تلوت مبتعدة عنه، وقالت بنزق: «أنا لست لعبة تتسلى بها».

تبين لها للتو كم أن هذا العناق لا يعني له شيئاً، فقد أفلتها على الفور. كان جسمها ينتفض، فانفجرت في وجهه: «إذا كنت تظن أن بإمكانك المجيء إلى هنا، لتسلب ممتلكاتي، وتهددني وتعانقني حتى الحماقة، فأعد التفكير من جديد، لأني لست بلهاء».

قال متمسكاً بغطرسته: «أنت رغبت بهذا العناق بقدر ما رغبت أنا به».

هذا ليس عادلاً! كانت تود أن تصرخ بأعلى صوتها، لتعلن غضبها من ذلك القدر اللعين الذي جعل الأمير لوكا أوف داسيا يدخل حياتها المسالمة. بدا شعرها مشعثاً وشعرت بألم وتوتر في كل عضلة من عضلات جسمها، بسبب فقدانها الرهيب للسيطرة على ذاتها. أرادت أن تضرب بعنف، أن تسحق وتحطم شيئاً ما...

جاء صوته متأنياً وهادئاً: «لا يمكنني أن أتركك وأنت في هذه الحالة».

ـ أنا بخير.

رفع ذقنها إلى الأعلى، وراح يتفحص وجهها بعينين قاسيتين لا ترحمان، متجاهلاً احتجاجاتها وقبضتها التي راحت تلكمه على معدته. وأجلسها على أحد المقاعد. كان جسمه قوياً وصلباً لدرجة جعلتها تشعر بألم في رسغها، فراحت تحرك يدها لتتخلص من الألم.

قال بفظاظة: «أنت تستحقين ذلك».

بدا لها وكأنها تلطم صخرة.

ثم تابع قائلاً: «هل لديك ضمادات لهذا الإصبع... أو أي مرهم؟».

أرخت الكسا فكيها بما يكفي لتغمغم: «كلا».

ـ إذاً، سأحضر لك البعض منها.

أطبقت يدها الأخرى على الإصبع المجروح وقالت: «كلا، لا أريد شيئاً منك. إنه مجرد جرح... وسوف يلتئم بسرعة».

علت خديه الكبيرين غمامة داكنة اللون، وقال: «أنا آسف».

وأكمل كأن الكلمات تنتزع منه انتزاعاً: «أنا لا أتصرف عادة بوحشية».

ثم استدار على عقبيه وسار باتجاه المطبخ.

كانت الكسا تراقب رأسه المغطى بالشعر الأسود، وتبين لها أنه يحضر كوباً من الماء. استعادت هدوءها وراحت تفكر مذهولة بأن هذا الرجل ذو تركيبة معقدة... إنه يعاديها ويرغب في حمايتها في الوقت نفسه. راقبته بحذر وهو قادم عبر الغرفة.

كان ينظر إليها بعينين ذهبيتي اللون شبه مغمضتين، من خلال طبقة كثيفة من الرموش السوداء. ناولها كوب الماء قائلاً: «هاك، اشربيه كله».

انساب الماء بارداً ومنعشاً في حنجرتها، مما جعلها تشعر بالارتياح، فقالت بتهذيب وهي تناوله الكوب: «شكراً لك».

رمقها بواحدة من تلك النظرات الفاحصة قبل أن يعيد الكوب إلى المطبخ.

وقفت الكسا على قدميها في محاولة منها لاستعادة رباطة جأشها، فتسارعت الذكريات إلى رأسها... قوة ذراعيه اللتين حملتاها بسهولة، ضربات قلبه العميقة المفعمة بالحيوية وذلك العطر الفتان المحير. وأخيراً، ذلك الشعور الدافىء بالحماية الذي أحست به، والذي سلب لبها.

جاء صوت لوكا من خلفها: «تبدين بحال أفضل... هل تشعرين بذلك؟».

- بالتأكيد.

قالت ذلك بهدوء، واستدارت لتواجهه: «لقد بالغت في رد فعلك على غضبي الطبيعي من نفسي لأني انسجمت مع عدوي».

أجفلتها ضحكته.

قال وهو يحمل آلة التصوير والحقيبة التي تحتوي على الأفلام بحركة رشيقة: «سأقول لك أمراً واحداً، أنت لست متبلدة الإحساس».

رمقته ألكسا بنظرة متوعدة، رافضة التراجع وقالت من بين أسنانها:

«لا تحاول التظاهر بشيء. لسوء الحظ، يمكنني التنبؤ بما ستقوله».

حياها بانحناءة ساخرة، جعلتها تصر أسنانها بحدة: «تمتعي بعطلتك».

يمكن لهذا الرجل أن يثير أعصابها ساعة يشاء. هكذا فكرت بفظاظة... وبينما كانت تخلع ثيابها لتستحم، راحت تفكر أن بإمكان لوكا أن يعبّىء عطره الطبيعي في زجاجات ويبيعها كعطر مثير. إنه لمن المخزي إلا تستطيع مقاومة رجولته الطاغية، ففي كل مرة يدخل بيتها، يكتسح كيانها ويجعلها في غاية التشوش، مما يفتت إرادتها إلى أشلاء.

ماذا سأفعل بشأن هذا الرجل؟ لعله من الأفضل لها أن تهرب منه عائدة إلى أوكلاند. ضغطت على شفتيها. كلا، سيكون ذلك استسلاماً. لقد حان الوقت ليفهم لوكا أوف داسيا بأن العالم ليس مفصلاً على قياسه وحده.

أجابت نفسها بشراسة: إذاً، سوف أبقى هنا، لكني سأظل بعيدة تماماً عنه.

أخرجت جهاز الكومبيوتر والأوراق التي تحتوي على المعلومات التي تود إدخالها إليه. بعد أن أمضت جزءاً كبيراً من بعد الظهر في العناد المحض وارتكاب الأخطاء، أدركت الكسا أن لوكا قد وثق بكلامها بأنه ليس لديها آلات أخرى.

***

٥ ـ دعوة الأمير

استيقظت الكسا مذعورة. أحست بألم في معدتها بعد أن سمعت ضوضاء غامضة، تركت في رأسها صدى. كانت الريح تعصف بقوة حول المنزل محدثة أصواتاً كأنها كرات صغيرة تتدحرج على السطح. حاولت الاسترخاء ملتمسة الدفء والحماية تحت الغطاء، لتعود إلى النوم مجدداً، بعد أن أيقظها صفير العاصفة القادمة من جهة البحر.

في صباح اليوم التالي، استيقظت الكسا على مهل لتشهد يوماً هادئاً، شمسه ساطعة، وجوّه يعبق برائحة العشب الرطب، وسرعان ما اكتشفت أن التيار الكهربائي مقطوع، مما يعني عدم إمكانية الاستحمام أو اعداد القهوة...

لحسن الحظ أن البحر أمامها، قامت بغطسة سريعة وعادت بعد نصف ساعة لتتناول قطعة من الخبز مع العسل، وهي تراقب المياه التي راحت تغلي في ركوة وضعتها على الفحم. إنها بحاجة إلى الهاتف لتتصل بشركة الكهرباء.

كادت قطعة الخبز تسقط من يدها لدى رؤيتها لوكا، الأمير الأسمر بنفسه يجتاز الشاطىء باتجاهها. وبالرغم من تعليماتها الصارمة لذاتها، راح قلبها يخفق بشدة كلما اقترب منها، بقامته المديدة الفاتنة والمسيطرة. ارتفع حاجباه لرؤية الركوة وشعرها المبلل الذي يبدو دبقاً بسبب المياه المالحة.

سألها ببرودة: «فطور في الهواء الطلق؟».

قالت له متجاهلة ما أصابها من توتر: «الكهرباء مقطوعة».

انعقد حاجباه وسأل: «ماذا حصل؟».

هزت الكسا كتفيها بلا مبالاة أمام نظرته الصارمة: «لا أعلم، أفترض أن العاصفة التي هبت في الليلة الماضية، تسببت في انقطاع التيار الكهربائي».

أخرج لوكا هاتفها النقال من جيبه وطلب رقماً، وبعد أن أجرى حديثاً مختصراً أقفل الخط قائلاً برتابة: «سيقوم أحدهم بتفحص العطل. بانتظار ذلك، من الأفضل أن تأتي معي».

تلك الرغبة بحمايتها تظهر من جديد!

قالت على الفور: «أنا بخير».

وأومأت إلى الركوة التي تغلي مضيفة: «لدي كل ما أحتاج إليه... قهوة، خبز وعسل».

تفحّصها بنظرة تومض بالتسلية، جعلتها ترفع ذقنها تحدياً. تلاقت عيونهما كأنها نار حارقة تحت جليد صلب. وفجأة سمعت صوتاً جعلها تقفز من مكانها، فقد فاض الماء من الركوة محدثاً صوت هسهسة على الفحم. وبينما كانت الكسا تسكب الماء المغلي في ركوة أخرى فوق البن المطحون، نظرت إلى لوكا، لتجد أنه يتفحص بنظره خزّاني المياه الموضوعين خلف المنزل، واللذين بالكاد يظهران للعيان. لكنه لاحظ بكل تأكيد الحبل الذي استخدمته في محاولتها لفتح الغطاء.

قطب قائلاً: «أفترض أنه ليس لديك ماء؟».

ـ كلا فقد استعملت المياه التي كانت في الإبريق الكهربائي. لكن يمكنني أن أسحب الماء إذا تمكنت من رفع الغطاء.

فقال لوكا: «دعك من ذلك... سيكون ذلك صعباً عليك».

كانت الكسا تتجنب النظر إلى كتفيه العريضتين، وإلى عضلات ذراعيه المشدودة: «ربما يمكنك أنت أن تفتحه».

قال متشدقاً: «أستطيع القيام بذلك، لكن لما نزعج أنفسنا بينما يمكنني أن أقدم لك حماماً ساخناً وقهوة معدة بشكل جيد؟ تعالي لتناول الفطور في

منزلي».

ابتسمت بلا مبالاة وقالت بصوت عذب: «هذا لطف منك. لكن، أنا بخير كما ترى. كما أن للقهوة المعدة على الفحم نكهة مميزة».

رفع لوكا حاجبيه وبادلها ابتسامتها بابتسامة... ذات تأثير مهلك: «في هذه الحالة، لمَ لا تقدمين لي القهوة، بينما نتمكن من معرفة سبب انقطاع التيار؟».

قالت الكسا: «أفضّل أولاً أن أتصل بصديقتي في أوكلاند».

وتابعت بإصرار: «إنه منزلها، حسناً... أعني منزل والديها... لذا يجب اعلامهم بما حصل».

قال بهدوء: «أرى أنّ من الأفضل أن تنتظري حتى نعرف سبب العطل أولاً، ففي منزلي لم ينقطع التيار، لذا فقد يكون العطل بين المنزل والموزع».

أزعجها تحليله المنطقي للمشكلة. لكنها أومأت برأسها موافقة، ثم استدارت وراحت تحرك القهوة بلا ضرورة.

سألها بتكاسل: «هل تمكّنت من وضع المعلومات الخاصة بنسب عائلتك على الكومبيوتر؟».

أجابت بابتسامة ساخرة: «بعد أن توصلت إلى معرفة كيفية القيام بذلك، أجل».

ـ كيف أصبحت وحيدة ومحرومة من الأقارب؟

ترددت الكسا قليلاً قبل أن تقول مدافعة: «كانت أمي يتيمة، أما من ناحية والدي، فقد توفي جدي في سن مبكرة، ولم تتزوج جدتي ثانية».

لم تشأ أن تخبره أن جدّيها لوالدها لم يتزوجا أبداً، وأن جدها الإيطالي الشاب توفي قبل أن يعرف أن حبيبته قد انجبت له ابناً، وتابعت تقول: «ثم مرضت أمي لمدة سنتين. وفي أحد الأيام كان أبي يصطحبنا، أنا وغران، لزيارتها في المستشفى، وفي طريق عودتنا اصطدمت سيارتنا بصهريج، فقتل أبي وغران على الفور. إنه حظ سيء».

جاء صوت لوكا عميقاً: «يبدو الأمر كمأساة».

لم تشأ الكسا أن ترضيه، فسألته بوقاحة: «أعتقد أنك تنتمي إلى عائلة كبيرة جداً».

أصابه الارتباك لسؤالها. فبالرغم من نسبه المتصل بمعظم العائلات الملكية في أوروبا، إلاّ أنه مثلها محروم من الأسرة الحميمة. هز كتفيه وأجاب: «لدي بضع مئات من الأقرباء من مختلف درجات القرابة، لكن الأقرباء المباشرين هما اثنان فقط».

لفتتها نبرته... لا يمكن وصفها بالضبط بالقسوة، بل بدا وكأنه قادم من بعيد، حاملاً آثار الشعور بالإثم. أحست بالصد فاستدارت من جديد.

سألها بفضول: «كيف كانت الحياة في دار الأيتام؟».

قالت وهي تحرك القهوة ثانية: «الأول لم يكن جيداً، لكن...».

همس بشيء ما، ثم سألها: «سيء إلى أي حد؟».

أحست بالدموع تلسع عينيها، فهزت رأسها قائلة: «لم أتمكن من الانسجام مع الأولاد هناك. سارت الأمور بشكل أفضل في المكان الثاني، فقد كانوا لطفاء معي، ومعظم الأولاد كانوا جيدين. كان بعضهم يأتي ويذهب، لكن أنا... حسناً كنت محظوظة. كنت أعلم أن أمي وأبي قد أحباني كثيراً، مما منحني القوة لأظل متماسكة في الأوقات العصيبة».

قال ببساطة وبلهجة لم تتمكن من تفسيرها: «نعم، إن معرفة ذلك مهمة جداً».

هل أحبته أمه يا ترى؟ وماذا عن أبيه المراوغ القاسي؟

أضاف قائلاً: «لا بد أن والديك كانا مبتهجين لأن لديهما ابنة مشرقة وممتلئة بالحياة مثلك».

أجفلت الكسا ورفعت بصرها نحوه، فإذا به يراقبها بنظرة خفية. لم تكن نظرته كئيبة أو ماكرة أو متجهمة، إنما بدا وكأنه اكتشف فيها شيئاً جديداً غير اعتيادي. حسناً، لعل الناس العاديين مخلوقات مجهولة بالنسبة إليه!

سكبت لنفسها كوباً من القهوة وقالت: «كنا سعداء معاً. لم أكتشف

مقدار هذه السعادة إلا بعد أن فقدتها. أحتاج إلى كوب آخر... سأذهب لاحضاره».

ـ أنا أحضره، أين تضعين الأكواب؟

ـ في الخزانة فوق المغسلة إلى الجهة اليمنى.

راقبته وهو يلتقط الهاتف بلا مبالاة، ثم يبتعد.

شربا القهوة معاً على الشرفة، وهما ينظران إلى البعيد، نحو البحر الذي بدا بلون أزرق لامع. كان لوكا يستفسر منها عن شجرة نسبها التي تدخلها على الكومبيوتر، وكانت تبتسم له وهي تخبره عن مدى معاناتها لإيجاد الطريقة الصحيحة لإدخالها.

اكتشفت الكسا أنها تستمتع بوقتها، بالرغم من ذلك الشعور الخفي بالإثارة والتوتر، والذي كان لوكا يتجنبه بطريقة ما. لقد راح يتحدثان كأنهما... حسناً، كصديقين.

راحت تحذر نفسها، إياك أن تتوتري. لعل اللباقة في الحديث من ضمن الأشياء التي يتعلّمها الأمراء منذ الطفولة.

عندما رن جرس الهاتف سمح لوكا لنفسه بالرد. راحت الكسا تتأمل جمال وجهه الممتلىء بالقوة والرجولة. وبنظرة خبيرة راحت تراقب باعجاب بنيته القوية ولونه الأسمر الذهبي المائل إلى السواد. وبالرغم من ملامح وجهه المتوسطية، فإن اللمسة السلافية في عظام خديه تمنح وجهه طابعاً من الرجولة المتوقدة.

رمشت بعينيها في الوقت المناسب لإخفاء نظرة الإعجاب البادية فيهما. قال لوكا لمحدّثه ما بدا أنه كلمة وداع، ثم قال لها: «يبدو أن صاعقة أصابت الشبكة... فتسببت بانقطاع التيار. ربما من الأفضل أن تعلمي صديقتك بالأمر».

ناولها الهاتف، فطلبت الكسا رقم سالي وأخبرتها بما حصل.

مد لوكا يده ليأخذ الهاتف فأعادته إليه وهي تهز كتفيها باستهجان. وإذا به يقول ببساطة: «من الأفضل أن تأتي إلى منزلي إلى أن يتم إصلاح

العطل. فقد لا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً».

تأكدت الكسا عندئذٍ من أنه لا يريدها أن تعود إلى أوكلاند؛ فهو لا يزال غير واثق من أنها لن تفشي أمره. لو وجّه إليها هذه الدعوة بالأمس لأهملتها، فهي لم تكن بالأمس قد جلست وإياه على الشرفة، يحتسيان القهوة، ويتبادلان الحديث عن أعمال الكومبيوتر. لكن هذا الرجل الذي جعلها تضحك بسبب ظرفه وروحه المرحة، أصبح شخصاً محبباً لديها. ومع أنه كان يبتسم لها فإن ابتسامته كانت ذات مغزى، وكأنه أدرك إلى أي مدى كانت الكسا ممزقة بين أن ترفض بسخط ذلك الأمر المبطن في دعوته لها وبين فضولها المفرط. فهي تود إلقاء نظرة ولو خاطفة على منزله. وإذا كان ثمن ذلك أن تمضي برفقته بضع ساعات بينما تعيد شركة الكهرباء وصل التيار، فهي مستعدة لدفع هذا الثمن.

انزلقت على خدها خصلة من الشعر مشبعة بالملح، مما جعلها تتخذ قرارها. فقالت: «حسناً».

ثم أضافت بما يشبه الابتسامة: «إذا كان بإمكاني الاستحمام هناك. فالسباحة ليست بديلاً عن الاستحمام».

ـ بالتأكيد يمكنك ذلك.

أصابها التوتر، فاندفعت إلى المنزل: «سأحضر بعض الملابس».

كان لديها ما يكفي من القدرة على ضبط النفس لتختار الملابس الأكثر احتشاماً، بدلاً من تلك التي تظهر مفاتنها بشكل كبير. وضعت الثياب في حقيبة صغيرة، وخرجت لتجد لوكا واقفاً بانتظارها. في مكان ما بداخلها، أحست الكسا بشعور غامض لم تفهم كنهه.

حذرت نفسها قائلة: لا تكوني حمقاء. أنت تعرفين ما هو عليه لوكا... إنه طاغية، مستبد ومرعب. إنه أمير.

وكأنما لوكا أحس بما تفكر فيه، فاستدار لملاقاتها وتناول الحقيبة من يدها قائلاً فجأة وبلهجة غريبة: «إذاً، هيا بنا».

وبينما كانا يسيران على الشاطىء، راح لوكا يصف لها بمرح المفاجأة

التي أصابته عندما رأى، للمرة الأولى، مجموعة من الكنغر الصغيرة ترعى العشب في إحدى التلال.

كانت حديقة منزله تمتد على مساحة واسعة مغطاة بالعشب، خلف أشجار ضخمة متكئة على الرمال. في الطريق إلى المنزل لاحظت الكسا وجود حواجز فاصلة بين الرمال والمنطقة المزروعة. وما إن عبرا البوابة حتى لمحت إحدى كاميرات المراقبة مثبتة في مكان مرتفع لمراقبة الشاطىء.

أصابتها قشعريرة، وفكرت بسخط بأنه لا يجدر بأي شخص أن يعيش هكذا. لكن لوكا لم يكن يملك الخيار، فقد ولد لكي يحيا حياة لا يمكنه الإفلات منها. راحت الكسا تتذكر بعض الصور التي شاهدتها له، لقد التقط العديد منها بواسطة عدسات بعيدة المدى، وفي أوقات كان يعتقد فيها أنه بعيد عن المراقبة. كانت قد قرأت منذ عدة سنوات مقالاً كتبته إحدى عشيقاته، تصف فيه أكثر أوقاتهما حميمية، وبأدق التفاصيل. خالجها شعور بالامتعاض ما لبث أن تبدد لتحل مكانه مشاعر الشفقة.

بعد انتهاء هذه العطلة، سوف يدرك لوكا أن هناك أشخاصاً يمكن الوثوق بهم، لأن أخباره لن تظهر في الصحف. ابتسمت الكسا، لكنها كادت تترنح بسبب الاضطراب الذي شعرت به عندما بادلها الابتسام.

لقد كان الأمر مماثلاً بالنسبة للوكا... فاضطرمت النار في أعماق عينيه.. لكن تعابير وجهه لم تتغير. قال وقد بدا صوته أكثر خشونة: «أهلا بك في منزلي».

كانت الكسا ترتعش، لكنها أجبرت نفسها على النظر حولها باهتمام بينما كانا يسيران في ممر واسع ومرصوف.

قالت باحتراس: «يبدو المكان كمجموعة من المقصورات».

وراحت تتساءل عما يمكن معرفته عن لوكا من خلال هذا المكان، فقد توقّعت أن يكون المكان في غاية الترف، وأن يتمسّك لوكا بالشكليات المتبعة في أوروبا. لكن ما تراه... كان غريباً ومدهشاً ورائعاً تماماً كالمكان الذي يحيط به.

أجابها لوكا: «إنه بالضبط كذلك، لقد صمم البناء مهندس شاب من أوكلاند، وقد قام بعمل جيد».

ـ إنه مذهل.

رافقها عبر مصطبة واسعة مسقوفة جزئياً، تطل على الحدائق الخضراء والبحر معاً. فلفت انتباهها الأثاث المصنوع من القصب، والمرتب بشكل يجعله مناسباً لاستقبال مجموعات من الناس تقوم بمحادثات. قادها لوكا إلى داخل المنزل المغطى بالقرميد كالمصطبة وبعد أن عبرا قاعة زجاجية فسيحة، فتح باباً في آخرها وقال: «يوجد هنا غرفة نوم يمكنك استخدامها».

واتبع كلامه بواحدة من تلك الإبتسامات المتأنية، المتألقة قائلاً: «فيها حمام أيضاً».

بعد أن أصبحت الكسا داخل الغرفة، والحقيبة في يدها، وبعد أن اغلق الباب خلفها، أطلقت زفرة ارتياح في الهواء. كانت الغرفة مفروشة ببساطة متناسبة تماماً مع منزل أعد لقضاء العطلة، فأثاثها مترف لكنه مريح في الوقت نفسه. كانت النوافذ مغطاة بالستائر، مما يعني أنها ليست معرضة للمراقبة من قبل أي من رجال الأمن، أو طيور النورس أو الأمير الذي قد يمر في جولة قريباً من المكان.

غمغمت من بين أسنانها المشدودة بإحكام، وهي تفتح باب الحمام الذي فوجئت بحجمه: «استرخي إذاً».

إنه حمام فسيح وعملي، ومصمم بالذوق البعيد عن الإسراف نفسه، وبذات الاهتمام بكل التفاصيل. ألقت الكسا نظرة على المرآة، فإذا بها ترى منظرها المروع ووجهها المغطى بما يشبه عش الطائر من الشعر الأحمر. وبينما كانت تخلع ثيابها، راحت تفكر بأن لوكا أوف داسيا، وبالرغم من أنه رجل متسلط من القرون الوسطى، إلاّ أنه يملك حساً منطوراً دقيقاً فيما يتعلق بالديكور الداخلي. وهو بالتأكيد لا يحتاج لأكثر من إشارة من تلك الأصابع النحيلة القوية، ليقوم شخص آخر بتنفيذ كل ما يريده. إنما هل تلك البرودة والحذر الكامنين خلف الخطوط والألوان، بمثابة رد فعل لنشأته

في بلاد ذات تاريخ مأساوي بل دموي في معظم الأحيان؟

كان يمكن للوكا أن يصبح وحشاً بشرياً، لكنه في الواقع رجل مثير وبارع. فما من امرأة تلتقيه إلا وتشعر أمامه بتحد مثير، فقدرته على ضبط النفس تخفي وراءها مشاعر جامحة تتخطى المألوف. وكل امرأة تتمنى أن تكون تلك المحظوظة التي تتمكن من تحريك هذه المشاعر.

استدارت الكسا وفتحت حنفية الماء: «أراهن أن ما من امرأة تستطيع ذلك. لا أظن أن ثمة أمل في اختراق دفاعاته».

ثم غمغمت: «أنا لم أتمكن حتى من إثارة غضبه».

خامرها شعور بأن لوكا لا يحمل في صميم قلبه سوى البلادة. إذ تم تدريبه... منذ الطفولة على الأرجح. يا للطفل المسكين!.. لقد درب على كبح كل مشاعره في سبيل واجبه كحاكم.

لكن، وبالرغم من كل ذلك، فالمرأة التي تحدثت عن مغامرتها معه في الصحيفة، وصفته بأنه عاشق بارع، فهو لطيف، عاطفي ومسيطر و... حسناً، إنه باختصار مدهش. كانت الكسا قد بدأت بالاستحمام، فقالت بشيء من السخرية مطلقة تنهيدة ارتياح: «إذاً، إنه رائع».

داميان كان جيداً وقد اعتقدت أنها تحبه حقاً، لكنها في النهاية تركته لأنها اكتشفت أنها تحب أسرته الكبيرة، المرحة والصاخبة بقدر ما تحبه هو. بل أحبت أسرته أكثر مما أحبته. لكنها أرادت أكثر من ذلك؛ أرادت ما عاشه والداها وجدتها... حب وحيد يملأ حياتها.

إنها ليست ساذجة لكي تدع إعجابها بلوكا يعمي بصيرتها. فالانجذاب الجسدي لا يشكل قاعدة جيدة ليبنى على أساسها أي نوع من العلاقات... صدمتها هذه الفكرة وتجمدت يدها وهي تضع الشامبو على رأسها، ثم قالت بصوت مرتفع: «علاقات؟».

أوه! كلا، كلا، كلا! فبالرغم من أن لوكا جذبها كما لم يفعل أيّ رجل من قبل، إلا أنها لن تقع في الفخ، وتظن أنها وقعت في حبه. أحست بردة فعل معارضة من جسدها. أما شعورها تجاهه فلم يكن سوى مزيج من

الغضب لغطرسته والاحترام لذكائه... والاحتقار لاندفاع هرموناته. إن الإنجذاب الجسدي الخالي من العواطف والتفهم لا يؤدي لأكثر من لذة عابرة، يعقبها شعور بغيض.

أنهت الكسا استحمامها متجاهلة ما أحست به من الألم في مكان ما في قلبها. جففت جسمها بمنشفة كبيرة، وارتدت بنطلوناً من الجينز وقميصاً عسلية اللون. لن تسمح لرجل تكاد لا تعرفه ولا تثق به أن يسيطر عليها، بصرف النظر عن الهوة الكبيرة ما بين امرأة نيوزيلاندية وأمير أوروبي. فبعد انتهاء هذه المسرحية، سوف يعود لوكا إلى داسيا ولن تراه مجدداً. فكرت وهي تجمع ثيابها المبعثرة، أن ذلك سيكون أمراً جيداً، إذ ستكون هي في منأى عن التأثر بسحره المذهل، هذا السلاح الأمضى من ذكائه.. والذي يستعمله بلا رحمة.

كان أحدهم قد دخل غرفتها أثناء وجودها في الحمام.. إنها امرأة نحيلة في متوسط العمر، وراحت ترتب الوسائد على أحد المقاعد. رفعت المرأة المسنّة بصرها عندما توقفت الكسا في الباب وقالت بلهجة متحفظة: «مرحباً، أنا مدبرة المنزل وأدعى جيل مارتن، إذا أردت شيئاً فأعلميني بذلك».

أجابت الكسا وهي تبتسم: «شكراً لك».

قالت جيل مارتن من دون أن تبادلها الابتسام: «طلب مني الأمير أن أعلمك أنّ الشاي سيقدّم بعد نصف ساعة قرب حوض السباحة».

* * *

٦ ـ أغرقها الحب

خرجت الكسا من غرفتها بعد دقائق، تغطي عينيها بنظارة شمسية. لم تكد تخطو خطوتين، حتى ظهرت مدبرة المنزل من جديد، فحيّتها بابتسامة متحفظة قائلة: «طلب مني الأمير أن أرشدك إلى المكان».

ـ شكراً لك.

سارت الكسا برصانة إلى جانب المرأة، على طول المصطبة المواجهة للبحر. كانت الكسا تتساءل لما تبدو هذه المرأة شديدة التكتم. فهي معتادة على جعل الناس يشعرون بالارتياح، لتتمكن من التقاط صور لهم. فحدّثت المرأة قائلة: «لا بد أن يكون العمل في مكان كهذا مختلفاً تماماً... بعيداً عن الضجيج والصخب في أوكلاند».

قالت جيل مارتن بتهذيب: «نحن نحب هذا المكان».

وتراجعت قليلاً لتفسح لها المجال لكن الكسا تابعت بإصرار: «أعلم أن هذا البناء حديث جداً، لكن الحديقة لا تبدو كذلك».

ـ استقدم مهندس الحدائق العديد من الأشجار الكبيرة، وبالطبع كان هناك سابقاً بعض الأشجار، كتلك الشجرة المرجانية.

وأشارت المرأة المسنة إلى شجرة ضخمة، يقوم في ظلها كوخ مستطيل منخفض السقف. وخلف تلك الشجرة رأت حوض السباحة يتألق تحت السماء الصافية، أما الأرائك المريحة فكانت مصفوفة على جانبي السياج، بعضها معرض لأشعة الشمس وبعضها الآخر موضوع في ظل السقيفة، حيث كان لوكا جالساً يقرأ.

كان مستلقياً على إحدى الأرائك، وهو يبدو في غاية الإرتياح والتكاسل.

راحت الكسا تمعن النظر في وجهه القوي البارز العظام، والتي تتجلى فيه بخشونة قدرته على السيطرة. أحست بأن أنفاسها تضيق في رئتيها، وأن قلبها يتمزق، وأن كل حاسة من حواسها باتت متحفزة بحدة. لدرجة شعرت معها بأن النسيم البارد يلسع بشرتها بالسياط وشمس الخريف اللطيفة تلذعها، حتى أن صوت أحد طيور النورس الساخرة تحوّل إلى زمجرة في أذنيها. أغمضت عينيها بسرعة، في محاولة لاستعادة السيطرة على نفسها.

رفع لوكا نظره نحوها، وانتصب واقفاً على قدميه. لاحظت الكسا قميصه المشدود على كتفيه وبنطلونه الذي يظهر وركيه النحيلين، وعضلات ساقيه الطويلتين، كذلك التناسق والإنسجام في قامته الرجولية.

قال لوكا: «شكراً لك جيل».

ابتسمت له زوجة الوكيل بعاطفة صادقة، قبل أن تختفي عائدة إلى المنزل. جاء صوته عميقاً: «تبدين... فاتنة».

ـ أنا... أشكرك.

وعلى عكس المجاملة اللطيفة التي بدت في كلماته، ظل قناع وجهه المصقول متكلفاً، ويظهر قلقاً ما، حتى أن الكسا شعرت بأنه يخفي شيئاً ما. إنه لا يريدها أن تكون هنا.

حاولت بسرعة إخفاء ذلك الشعور الحاد بالألم الذي انتابها. حسناً، هي أيضاً لا ترغب في أن تكون هنا، كما أنها لا تلومه لشعوره الدائم بالارتياب، فذلك الخبر الذي نشر عنهما في الصحيفة وللمرة الثالثة، بغيض للغاية. فلو كانت هي تشك في أنه أحد أولئك المصورين الذين يلاحقون المشاهير ككلاب صيد شرهة، ما كانت لترغب مطلقاً في رؤيته بقربها.

دعاها قائلاً: «تعالي لنشرب الشاي».

سكبت الكسا لنفسها كوباً من الشاي وسكبت له كوباً من القهوة الثقيلة. وبعد أن عاد إلى مقعده، سألها بمرح: «ما الذي جعلك تختارين

www.elromancia.com

مهنة التصوير؟».

ـ لقد وقعت في حب آلة التصوير منذ كنت في الثامنة.

ارتفع حاجباه: «الثامنة؟».

ـ كان أبي يحب التصوير، وعلّمني كيفية القيام بذلك. وما إن أدركت أن بإمكاني أن أسجن الزمن في لقطة مثيرة، حتى كنت قد علقت بحب آلة التصوير.

ظهرت الحماسة فجأة في عينيه، وردّد: «تسجنين الزمن؟ إنها طريقة مثيرة لرؤية المسألة خاصة وأن الكاميرا يمكن أن تكذب».

فقالت الكسا: «إن المصور الجيد يظهر الحقيقة».

ـ حقيقة من... المصور أم الموضوع؟

ترددت قليلاً: «حقيقة اللحظة».

رغم انعقاد حاجبيه معاً، إلا أنه لم يكن متجهماً تماماً: «آسف لأنك أوقعت كاميرا والدك».

هزّت كتفيها: «إنها فقط ذات قيمة عاطفية بالنسبة إليّ، فلا تقلق بشأنها».

قال بصوت خال من التعبير: «سوف أستبدلها لك، بالتأكيد».

ـ هذا ليس ضرورياً، فأنا من أوقعها وليس أنت.

تجاهل كلامها ليسألها: «أي نوع من الصور تلتقطين بالتحديد؟ صوراً للأشخاص؟ أم صور زفاف؟».

لقد أخبرته بذلك سابقاً، لكن لعله يحاول الإيقاع بها. ابتسمت بطريقة أظهرت أسنانها وقالت: «أقوم بتصوير الأشخاص، وأعمل لحساب إحدى المجلات التي تهتم بالموضة... إنه مجال عمل جيد. أما تصوير حفلات الزفاف فيتطلب جرأة وقدرة أكبر على الاحتمال وتخصصاً مطلقاً، لا قدرة لي عليه أبداً. إنه خطير كالسباحة بين أسماك القرش. كما أن أمهات العرائس لا يتمتعن بصبيت جيد!».

نظرت إليه من خلال رموشها، وهي مسلوبة اللب بضحكته المميزة. لا

شيء يمكنه أن يلطف من قساوة وجهه، إلا أن تسلية حقيقية بدت عليه جعلته فائق الجاذبية والبهاء.

أرادت أن تحوّل الحديث عنها... بالإضافة إلى فضولها لاكتشاف البلد الذي أنجب رجلاً مثل لوكا. فقالت: «حدثني عن داسيا. أعرف أنها جزيرة، وأنها جميلة، كما أعرف أن تاريخها مثير، لكني أخشى أن يكون هذا كل ما أعرفه عنها».

تساءل لوكا لما هي مزعجة هكذا؟ لكنه أراد إبعاد تفكيره... وجسده، عن وجهها الممتلىء بالحيوية، والذي تتسلل إليه أشعة الشمس من خلال الأزهار. فقال: «ماذا تريدين أن تعرفي؟».

ـ لماذا بقيت داسيا إمارة بينما الدول المحيطة بها كلها ذات نظام جمهوري؟

ـ ليس كلها. فإيليريا يحكمها أمير، وقد تزوج من فتاة نيوزيلاندية.

أومأت الكسا: «نعم، لقد أطلقت الصحف على قصتهما اسم قصة العصر. هل حضرت حفل الزفاف؟».

ـ نعم، فأنا وأولكس كونسيداين نعرف بعضنا جيداً.

ابتسامة ساحرة أخرى أصابت الكسا بسهم عنيف.

ـ يعتبرنا الايليريون دولة فتية حديثة العهد، لأن داسيا نالت استقلالها منذ أربعمائة سنة أو ما يقاربها، بينما هم يتحدرون من إيليريا القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد الروماني. وهناك بالطبع موناكو في الجهة الفرنسية من ايطاليا. لقد نشأت هذه الإمارات نتيجة ظروف تاريخية، ونحن ندين باستمراريتنا إلى براعة وذكاء الحكّام، الذين كانوا مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيل إماراتهم الصغيرة.

علّقت الكسا بهدوء: «كما فعل والدك».

انعقد حاجباها الأسودان اللذان يشبهان الأجنحة فوق عينيها الشاحبتين الغريبتين، وتصاعد الدم إلى بشرتها الحريرية بطريقة وجدها لوكا محببة بشكل كبير. وعندما نظرت إليه بشيء من الاعتذار، بدأ إحساسه

المتأصل والمتيقظ بالارتياب ينهار.

لكن للحظة واحدة فقط، كانت نظرتها الصافية الصريحة تدعو للثقة. إلا أن لوكا تذكر تلك المرأة التي راحت تنظر إليه بمشاعر متأججة ذات ليلة، وفي الصباح قامت بنشر أخبار علاقتهما بأدق تفاصيلها في الصحف ومن دون رحمة، بعد أن باعت قصتها كبائع متجوّل.

لم يسبق له أن تحدّث عن زواج والديه إلى أي كان، حتى إلى أصدقائه، إلا أن رغبته الملحة في إخبار الكسا عنهما، كانت دليلاً آخر على مدى تأثيرها عليه. قال بحيادية وبصوت مرتفع: «داسيا ليست دولة كبيرة لتتمكن من كسب الحرب، وعندما أدرك والدي أن استقلال البلاد أصبح في خطر، قام بما كان عليه القيام به».

ابتسم ابتسامة قاسية وأضاف: «لقد تخلى عن بعض الأمور. لكنه ظل واقفاً إلى جانب شعب داسيا».

شرب قهوته ثم وضعها قائلاً ببرودة ودون انفعال: «كان والد أمي قائداً عسكرياً من الطراز القديم. ومع أنه كان يضيق الخناق على والدي، إلا أن أمي تمكّنت من تخفيف العديد من مواقفه الحادة. فقد كانت ابنته الوحيدة».

أحست الكسا كأنها تسير على صنارة صيد: «إذاً، لقد حقق زواجهما غايته؟».

ابتسم ابتسامة ملتوية متجاهلاً تعليقها: «أظن أنه شعر بالرضى لأن حفيده سوف يحكم داسيا في يوم من الأيام».

سألته بفضول: «هل كنت تحبه؟».

لم يتغير تعبير وجهه، إلا أن الكسا أدركت أنها تجاوزت بسؤالها هذا حدوداً غير مرئية. لكن لوكا أجاب بهدوء: «لم أعرفه جيداً».

هل كان أبواه يحبان بعضهما البعض؟

كمن له القدرة على قراءة أفكارها، قال متشدقاً: «إن الزواج بين أبناء الأسر الحاكمة يمكن أن يكون مرضياً تماماً إذا فهم الطرفان القواعد جيداً».

تساءلت الكسا بعذوبة: «وما هي تلك القواعد؟».

ـ أن يقوم كل منهما بمساندة الآخر، بعد أن ينجبا وريثاً أو اثنين. أما الحب والإثارة فقد يتم الحصول عليهما خارج إطار الزواج، وغالبا ما يتم ذلك بتكتم شديد.

ثم اطلق ابتسامة ساخرة تجاه وجهها المتجهم: «أرى أنك لا تستحسنين الأمر».

قالت بهدوء: «يبدو لي ذلك في منتهى البشاعة».

راحت تنظر باتجاه المياه المتلألئة في البركة. شعرت بالأسف العميق لأجل والدته التي تمت المقايضة بها ووالده الماكر الملتزم بواجبه، ولأجله هو أيضاً لأنه نشأ في هذا الجو المتوتر كالجحيم.

سألها برقة بالغة: «وأنت، هل تريدين زواجاً رومانسياً وعاطفياً؟».

ـ أليس هذا ما يطلبه معظم الناس؟ بالإضافة إلى الاحترام والمودة والعشرة، بكل تأكيد.

قال بصوت عميق ومتوتر: «أنت رومنسية، أين تتوقعين أن تجدي رجلاً بهذه المواصفات المثالية؟».

ردّت بسرعة في محاولة لاخفاء ارتباكها: «في الواقع، لست في وارد التفتيش عنه الآن».

قدم لها بتهذيب طبقاً من الفطائر الصغيرة: «وهل يدخل الأطفال في المعادلة؟».

تناولت ألكسا إحدى الفطائر قائلة: «نعم، إذا كان ذلك ممكناً».

ومع أن تعبيره لم يتغير، لكن نظرته المتفحصة جعلتها تشعر بالتوتر. توقعت الكسا، أن يكون قد أدرك سبب توقها الشديد إلى تكوين أسرة.

قال لوكا بسرعة: «لكي يكون الزواج بين أبناء الأسر الحاكمة ناجحاً، يكون الزواج الملائم هو المعيار الأساسي. وأنت، ألا تعتقدين أن بإمكانك القبول بمثل هذا النوع من الزواج؟».

أجابت بسرعة: «على الإطلاق. فأنا أعتقد أنّ أيّ علاقة يجب أن يكون

لها قواعد معينة. وإذا كان الطرفان مخلصين لبعضهما البعض، فإن العلاقة سوف تنجح».

ثم أردفت بتشكك: «خاصة إذا كانت التوقعات محدودة. أفترض أنك تخطط لهذا النوع من الزواج؟».

استلقى إلى الوراء، وراح ينظر إليها بعينين شبه مغمضتين: «ربما».

وتابع بتكاسل: «إلا إذا تمكّنت من ايجاد امرأة مثل لانث أوف إيليريا، التي تحب زوجها بشكل لا يوصف».

سألت الكسا: «وهو، هل يحبها؟».

جاء سؤالها لاذعاً أكثر مما أرادت. لكن اعترافه ببرودة أنه سيتزوج لأسباب عملانية جعلها تشعر بالأذى بطريقة ما.

ابتسم لوكا ابتسامة من يبحث عن فريسة فاكتسحها سحر رجولي يفيض من عينيه الغامضتين: «من الصعب القول، فهو لا يبوح بالكثير».

لم تتمكن الكسا من ضبط نفسها، فقالت: «هذا بالتأكيد ليس زواجاً عملانياً».

وافقها لوكا: «ليس عملانياً على الإطلاق».

وأحست الكسا بصوته خالياً من العاطفة، فتساءلت هل يؤمن بالحب؟ أما هو فتابع: «لقد نشأ كونسيدان في استراليا، بعد أن هجر ايليريا مع أمه، ولا شك أنه تشرّب قيماً ومواقف مختلفة».

قالت الكسا بحذر: «أتمنى أن يكونا سعيدين معاً».

جاءت ابتسامته مقتضبة: «هل سبق لك أن وقعت في الحب؟».

بدا صوتها المرح خاوياً حتى على مسامعها: «أربع أو خمس مرات، وماذا عنك؟».

ارتفع حاجباه لكنه قال بهدوء: «مرتان عندما كنت يافعاً، عندما كان كل شيء يبدو ممكناً».

نظر باتجاه حوض السباحة: «هل تحبين السباحة؟».

تغيير غير متوقع في مجرى الحديث، لكن ماذا عنى بقوله عندما كان كل

شيء يبدو ممكناً؟

هل يعقل أن يكون هذا الرجل قد تدرّب على الشك بكل الناس، لكنه لم يتعلم كيف يحب؟ جعلتها هذه الفكرة تشعر بوخز من الألم. إنها تفاهة!

قالت برصانة، بعد أن وقفت وراحت تضع الأطباق على الصينية: «تبدو السباحة رائعة».

فالسباحة سوف تخفف من تلك الحرارة التي تتوهج ببطء في جسدها.

ـ سأحمل هذه إلى الداخل وأبدل ملابسي.

تبعها لوكا إلى المنزل وهو يمشي إلى جانبها بصمت، بينما راحت تتساءل لماذا وافقت على السباحة؟ لكنه تحداها لتقوم بذلك وقد تجاوبت معه بشجاعة.

إذا ما استمر الأمر هكذا فسوف تواجه المتاعب. فكرت وهي تشعر بغصة غريبة.. متاعب جدية. سرت رعشة مفاجئة في عمودها الفقري، لفكرة أن لوكا سوف يراها وهي ترتدي ثوب السباحة، مع أنها أحضرت ثوبها الأكثر احتشاماً.

قال وهو يفتح الباب: «المطبخ من هذه الناحية».

كان المطبخ عبارة عن غرفة واسعة، مجهزة بكل ما يمكن تصوره من أدوات الطبخ، مما يجعل إعداد الطعام لذة حقيقية. لم يكن في المطبخ أحد. وضعت الكسا الصينية على الطاولة، وفوجئت عندما راح لوكا يرفع الأطباق عنها. أغلق البراد وهو يطلق ابتسامة سريعة: «كما ترين، لست جاهلاً تماماً بالأعمال المنزلية».

ضحكت الكسا: «إنها مهارة فائقة.. أن تضع الحليب والسكر في مكانهما، وتضع الأطباق في الجلاية! هل يمكنك أن تضع الثياب في الغسالة؟».

قال وهو يطلق ابتسامة عريضة، من تلك الابتسامات التي تجعل قلبها ينتفض بقوة داخل صدرها: «لقد حاولت، ثم قررت أن هذا النوع من الأعمال مخصص جينياً للإناث».

- يبدو هذا الرأي العنصري مناسباً لك!.

- أخشى أن يكون هذا بسبب معرفتي بطباع الناس جيداً.

نبرة التحذير في صوته جعلت الكسا ترتجف. فلوكا قد يكون ممتعاً ومسلياً حين يريد ذلك، وهي تتمتع بتبادل الحديث معه بما يكفي لجعلها مدمنة عليه... لكن هناك دوماً حدوداً غير مرئية بينهما.

هذا الأمر في العادة لا يزعجها، لكن الأمر مختلف هذه المرة.

إذا كان لوكا ذلك الأمير الطائش وزير النساء كما تصوّره الصحف، بدلاً من هذا الرجل الخارق الذكاء، ذي السلطة القوية، فما كانت الكسا لتشعر بهذا المزيج من المشاعر المعقدة. على الأقل يمكنها أن تمسك أنفاسها بسرعة طالما أنه لا يلمسها، بالرغم من جاذبيته الرجولية القوية. لكن ما يثير مخاوفها هو تزايد إعجابها بذلك المركب الآسر في شخصيته، بالإضافة إلى ملامح وجهه الداكنة.

رفعت بصرها بسرعة عندما دخل أحدهم إلى المطبخ.. إنه الرجل الذي أرسله لوكا ليحضرها إلى الفندق، يوم اتهمها بأنها سرّبت الأخبار إلى تلك الصحيفة الحقيرة. قطب لوكا، لكنه قال بلطف كاف: «الكسا، لقد التقيت من قبل برئيس جهازي الأمني».

قالت وهي تبتسم: «نعم، مرحباً».

انحنى الرجل انحناءة رسمية وقال: «آنسة مايتون».

جاء صوت لوكا بارداً: «ديون، ماذا حصل بالنسبة للعطل الكهربائي في منزل الآنسة مايتون؟».

اعتدل ديون في وقفته وقال: «ما من أخبار جيدة، للأسف، فالعطل ليس ناتجاً عن سقوط غصن أو شجرة، بل إن صاعقة ضربت المحوّل».

سألت الكسا: «ماذا يعني ذلك؟».

قاطعها لوكا مطمئناً إياها برقة: «سيستغرق الأمر وقتاً أطول لإصلاحه. لا تقلقي بهذا الشأن الآن.. عندما يتم ذلك سيعرف ديون. في الوقت الحالي، أظن أنّ علينا التمتع بالسباحة».

بعد خمس دقائق، كانت الكسا تتمايل في ثوب السباحة الأزرق، الذي اختارته في الأصل لأنه يضفي على عينيها بعض اللون. إنه محتشم لكنه مشدود بقوة على جسمها.

إنها تشعر عادة بالسعادة حين ترتديه لكن... حسناً، هذه ليست مناسبة عادية.

حاولت تجاهل ذلك الشعور الخفي بالإثارة، وارتدت قميصها فوق ثوب السباحة، ثم توجهت إلى الحمام للبحث عن كريم للوقاية من أشعة الشمس، فوجدت علبة جديدة... فتحت علبة الكريم، ودفعت الدرج بحركة رشيقة من وركها، إلا أن قرقعة حادة نبهتها بأن شيئاً ما علق في الداخل. فتحت الدرج من جديد لترى إصبعاً من أحمر الشفاه... أحست بفراغ غريب. فتحت الغطاء، إنه مستعمل ولمعت في رأسها صورة وجه جميل... ساندرا تشامب.

قالت بصلابة: «لا داعي للصدمة. فوفقاً لما تنشره المجلات، لوكا ليس معتاداً على تمضية الإجازة وحيداً!».

وقفزت فوراً إلى الاستنتاج أنّ لوكا اصطحب امرأة إلى هنا. أقفلت العلبة الذهبية اللون ووضعتها على المنضدة الرخامية، وراحت تمسح شفتيها وبشرتها بالكريم الواقي بحركات رشيقة متوترة.

بعد مضي عشر دقائق، خرجت الكسا ثانية مقنعة بنظارات شمسية، مبدية لا مبالاة مطلقة على أمل ألا يكتشف لوكا كم تشعر بالسخافة لمنظر ساقيها الطويلتين اللتين تظهران تحت قميصها، أو يرى غيرتها الحمقاء المخبأة تحت وجهها المصقول بتصنّع. كانت مدبرة المنزل تتجوّل على الشرفة عندما ظهرت الكسا إلى نور الشمس. أتراها تراقبها؟

قبل أن تأخذ وقتها للتفكير بهذا الاحتمال، بادرتها بالقول: «سيدة مارتن، لقد وجدت أحمر شفاه في الحمام، وهو مستعمل. ربما نسيه أحدهم هناك».

أومأت المرأة المسنة وقالت بلطف: «سأتدبر الأمر».

ـ شكراً لك.

كانت لا تزال مشوّشة بسبب ذلك المزيج من الغضب والغيرة والشعور بالتملك الذي لم يسبق لها أن اختبرته، حين أكملت طريقها نحو البركة.

أياً كان ذلك المهندس الذي صمم هذا المكان، فقد اختار لون البلاط مشابها تماماً للون البحر في يوم مشمس، وجعل الماء ينساب برقة فوق حافة غير مرئية، بحيث تمتزج البركة بالمحيط، فتبدو الحدود بينهما غير واضحة، وكأنها بلا نهاية. والسباحة فيها تشعر المرء كأنه يطوف في الفضاء.. إنها منعشة وخطرة، وهو أمر لم تتعوده الكسا من قبل.

أحست وكأنها تلقت صفعة على وجهها عندما رأت أنّ لوكا سبقها إلى الماء. كان يندفع في الماء بقوة ونشاط وعزم، وأشعة الشمس تلتمع بقوة على بشرته الداكنة.

وقفت الكسا تراقب حركة عضلاته القوية المفتولة، وهي تكبح ألم مشاعر شديدة القوة كأنها نزاع الموت. منذ دقائق كانت تقول لنفسها برضى إنها سوف تنجح في مقاومة هذه الاستجابة البدائية! وعوضاً عن ذلك، ها هي تحترق بمشاعر محمومة.

وككل النساء اللواتي التقين لوكا، وقعت الكسا تحت تأثير فتنته. لماذا أمضت نصف ساعة وهي تتحدث إليه بدلاً من أن تعنّفه لأنه يعاملها كقطعة من المتاع؟ في الواقع، رأت بعد تفكير عميق أنه عاملها وكأنها عاتق يود إزالته.

وها هو الآن يسبح وكأنه نسي وجودها تماماً. كانت مشدودة لشدة توترها، مشمئزة من نفسها بصورة شاملة. خلعت قميصها ورمته على أحد المقاعد ووضعت نظارتيها على طاولة صغيرة. وبعد أن تخلصت من صندالها، انطلقت كأنها في سباق لتغطس في البركة بعيداً عن لوكا.

انساب الماء البارد على جسمها ببهجة، لكنه لم يتمكن من إطفاء تلك النار الغادرة التي تشتعل في داخلها. حاولت أن تضاهي لوكا في لياقته ومرونته الواضحتين، فاندفعت في سباحة سريعة تحت الماء. وقد كانت

معتادة على هذا النوع من السباحة، فشعرت كأنها مدربة سباحة ممتازة. ثم فكرت بمرارة بأن لوكا قد تلقى بالتأكيد أفضل تدريب في كل ما كان يرغب فيه.

هل تدرب على الحب أيضاً؟ كل أولئك النساء الفاتنات اللواتي شاركنه سريره وجسده... أخفقت في الانعطاف وأخذت نفساً في وقت غير مناسب. أحست بالاختناق وراحت تلهث وإذا بها تغرق إلى الأعماق. دفعت جسمها بقوة إلى الأعلى وإذا بذراعين قويتين تمسكان بها وترفعانها إلى خارج حوض السباحة.

شعرت وهي على حافة البركة بأن لوكا يحركها لتستلقي على أحد جانبيها في وضع سوي، وقد أسندها إلى أن توقف دفق الماء من فمها. أخيراً، أصبحت قادرة على التنفس من جديد. جلست ونظرت إليه بعينين مبللتين، وغمغمت: «شكراً لك».

كان لوكا راكعاً وملامح القلق بادية على وجهه الداكن. سألها وهو يرفع ذقنها ليتمكن من رؤية وجهها: «هل أنت بخير؟».

أجابته بابتسامة واضحة: «نعم، باستثناء كبريائي المجروحة. فأنا أعلم منذ كنت في الثالثة من عمري بأن التنفس تحت الماء لا يجدي...».

انتصب واقفاً على قدميه، ثم انحنى وضمها إليه بقوة ودفء وهو يرفعها لتقف على قدميها. جاهدت الكسا لتمنع نفسها من التكور محتمية بجسمه، مستسلمة لمساندته لها.

حملها وقال بخشونة: «خشيت أن تغرقي».

أوصلها إلى أحد المقاعد، فوضعها على حافته وأسندها بطريقة تمكّنه من أن يراها جيداً.

ـ هل أحضر لك شيئاً؟ كوب عصير مثلاً؟

قالت الكسا وهي تحاول أن تخنق نوبة أخرى من السعال: «كلا، أنا بخير. آسفة لأني قطعت عليك السباحة. حالما ألتقط أنفاسي وأستعيد بعض اعتباري، سأنضم إليك من جديد».

التفت ذراعاه حولها، وراح يضحك.

غمغمت الكسا: «حقاً، أنا بخير. لا يمكنك اغراق جرذ الماء».

كانت مرتبكة وخائفة. راح لوكا يتفحص وجهها بنظرة شاملة، فشعرت بحرارة متوقدة تلفح بشرتها، والتقت عينيه الغامقتين بخوف.

قال لوكا وهو يبتسم ابتسامة بدت غريبة، نصفها ساخر ونصفها عدواني: «في الواقع أنت بإمكانك إغراق جرذ الماء. لا تفعلي ذلك ثانية، لقد أخفتني».

بدا مأخوذاً، ورفع يده وراح يمررها برفق على شعرها.

بغموض، ومن خلال ضربات قلبها المتسارعة بوحشية، خطر لالكسا أنه قرر استغلال تلك الجاذبية المضطرمة بينهما ليجعلها سهلة الإنقياد.

كانت تشعر بالافتتان والذهول. وأحست برائحة الملح ووهج الشمس بالإضافة إلى رائحته الرجولية الخاصة.

ـ عيناك كعيني نمر.

قال ذلك وهو يعانقها، بينما راح قلبها يخفق بخوف لذيذ: «باردة متحدية، بل خطيرة. إن نظراتك وابتساماتك شبيهة بالنمر إلى حد بعيد».

قالت الكسا وهي تحاول أن تبدو واثقة من نفسها مثله: «وماذا كنت تتوقع؟ فأنت تتصرف كمن يبتغي السلب».

راح قلبها ينبض بقوة، مرسلاً دفعة عنيفة من الأحاسيس في جسمها، امتدت حتى أخمص قدميها. والتمعت عيناه الداكنتان بالضحك: «أنا لا أبتغي السلب.. أنا فقط رجل يعاني من مشكلة».

* * *

٧ ـ ليلة أخرى

توهج وجه الكسا وغمغمت: «أنا أيضاً أشعر بذلك».

منحها ابتسامة أخرى تهز شغاف القلب، قائلاً: «هذا يسمى استجابة وليس مشكلة».

كان في صوته مسحة من الكآبة. فتحت الكسا فمها، وقبل أن تتمكن من صياغة كلمات لتجيب، أغرق يده في شعرها النحاسي المبعثر حول كتفيها، وراح يقاطع الكلمات بعناق جارف.

كان عناقاً رقيقاً إلى حد بعيد، كذلك كان العناق الذي تلاه... رفعت الكسا رأسها وفتحت عينيها، وكادت تجفل لرؤيتها لمحة الضحك التي لا تزال تلتمع في عمق عينيه الذهبيتين.

إنه يعتبر الأمر مجرد متعة تافهة يملأ بها صباح أحد الأيام المشمسة...

قالت وهي تشعر بالإحراج: «قد لا يكون ذلك مشكلة بالنسبة إليك، إنما هو كذلك بالنسبة لي».

حلت السخرية مكان التسلية في عينيه، وسألها بابتسامة هازئة لم تعجبها: «هل تحاولين اختبار شيء ما الكسا؟».

سألت بدورها: «لا أدري.. هل بدوت كذلك؟».

هذه المرة جاءت ابتسامته عدوانية: «أعتقد ذلك. لكن عليّ أنا أيضاً أن أختبر أمراً...».

وكمن يخضع للتنويم المغناطيسي، أغمضت الكسا عينيها، بينما راح

www.elromancia.com

لوكا يمرر أصابعه على عنقها حيث تنبض عروقها بقوة.

قال متشدقاً: «أنت تذكرينني بفرس كانت عندي ذات مرة».

أحست الكسا بالإهانة، فاتسعت عيناها وقالت بنزق: «حسناً، شكراً جزيلاً».

قال محملاً كل كلمة من كلماته نبرة هازئة: «طويلة، أنيقة وسريعة. كان شعرها بلون شعرك تماماً، لكنها كانت ترفض السماح لي بركوبها».

سألته متجاهلة المعنى المبطن في كلماته: «ماذا حصل لها؟ هل حكمت عليها بالإعدام؟».

قال برقة وعيناه شبه مغمضتين: «لديك أفكار غريبة بالنسبة لمواطنة تنتمي إلى دولة ديموقراطية، فلم يعد مقبولاً أن تقطع رؤوس الناس لأنهم يعارضون. كلا، لقد روّضتها وفق إرادتي. ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت تأكل من يدي، وتسمح لي بركوبها ساعة أشاء».

سرت في جسد الكسا حرارة متوهجة، لكنها قاومتها. رفعت حاجبيها وقالت بابتسامة مستخفة: «يا لبراعتك!».

ابتسم لوكا وأحكم قبضتيه على كتفيها، ثم قربها منه. حرر لوكا أحد كتفيها ليرفع ذقنها بيده قائلاً: «بالطبع، كان علي أن ألاطفها في البداية، ولم يكن ذلك سهلاً. فقد كانت سريعة الاهتياج وذات طبع حاد.. وهذا تحدٍ لا يقاوم».

كانت لمسته تفتت دفاعاتها كما يقطع السيف خيوط الحرير. وضربات قلبها السريعة تطن في رأسها، مغرقة أفكارها في بحر من المشاعر الحسية الضارية.

سألها بصوت يثير الحواس بوضوح: «هل قلت لك إن تلك الفرس كانت جميلة بما يكفي لتسلب قلب الرجل من صدره؟ كانت ملساء وقوية ورائعة. كأنها الريح فوق المحيط أو الشمس في تألقها، أو نمرة تدافع عن صغارها».

قربها لوكا منه وعانقها، وظلا متلاصقين للحظات طويلة، تجاوبت معه

ألكسا بحماسة تحولت إلى نار متوهجة. كانت تائهة في عالم من الأحاسيس المضطرمة، طوقته بذراعيها، مستسلمة لعناقه. وقبل لوكا هذه الدعوة الصامتة.

رفع لوكا رأسه، وراح يبتسم متأملاً وجهها المبهور بعينيه المثقلتين. غدا اللون في عينيه الذهبيتين أكثر عمقاً، وغمغم ببهجة وهو يراقبها، ثم تراجع إلى الوراء.

بالكاد تمكنت الكسا من ملء رئتيها المذعورتين بالهواء. نظرت حولها، وأدركت ببطء ما كان يحصل معها. وما إن استعادت الذكريات حتى راحت تلوم نفسها لغباوتها واستسلامها المخجل.

تراجعت إلى الوراء، والخجل يغمرها حتى أخمص قدميها. وهمست متألمة كأنها تحدث نفسها كالمخبولة: «كيف يمكنك أن تفعل هذا بحق الله؟».

تلاشت كل الانفعالات من عينيه، وزاد اتساعهما لتصبحا معدنيتين. ثم قال بصوت مزق كل ما تبقى لديها من شجاعة: «ليس هناك سحر في ما حصل، فأنت امرأة جميلة وأنا رجل متمتع بصحة وقابلية جيدتين».

أجابت بحنق ويداها المرتعشتان تكذبانها: «أنا لا أتكلم عن تأثيري عليك. لكن معظم الرجال يقومون بذلك بسهولة..».

شعرت بالمرارة فتوقفت عن إتمام كلامها.

هز لوكا كتفيه قائلاً بلامبالاة: «النساء لسن مختلفات عن الرجال. ولا تحاولي اقناعي بأن هذا لم يحصل معك من قبل..».

على الأقل، بإمكانها الاحتفاظ بشيء لنفسها واخفاؤه عنه، وهو أن تلك الجاذبية الجسدية الطاغية جديدة وغريبة عليها تماماً.

ردت قائلة: «إنما، ليس بدون عاطفة».

استدارت مبتعدة بينما كان عناقه لا يزال يحرق جسمها.

ـ أنا ذاهبة.

استوقفها صوته الذي بدا عليه الاهتمام، حين قال: «تلك الليلة،

عندما التقينا، كنت تنظرين إلي نظرات ملؤها الجرأة والمقاومة. لقد أدركت ذلك لأن هذا ما شعرت به أنا أيضاً. . رغم أني كنت أواجه تحدياً مغرياً وخطيراً في الوقت نفسه».

تحركت يداه برقة لتلامسا بشرتها فارتجفت الكسا. ومرة أخرى ضحك لوكا. وما هي إلا لحظة حتى كانت بين أحضانه من جديد، ترتعش مبتهجة وهو يعانقها بقوة. . . تشتت تفكيرها لدرجة أنها لم تعد قادرة على السيطرة على استجاباتها، فتكور جسمها ملتصقاً به.

قال لوكا بصوت خشن ومتقطع: «هذه هي المشكلة».

ثم قال فجأة: «خذي نفساً عميقاً».

شعرت الكسا بإحباط مؤلم، فملأت رئتيها بالهواء. لزم لوكا ثلاث خطوات ليصل إلى حوض السباحة وكأنه لا يشعر بوزنها بين يديه. قفز فوق حافة البركة وهي لا تزال بين ذراعيه، فاندفع الماء من حولهما بارداً ومنعشاً. عانقها بحرارة وقوة ثم حررها دافعاً إياها إلى الأعلى محدثاً دوامة من الأمواج حولهما.

فتحت الكسا عينيها ما إن لامس جسمها سطح الماء من جديد، فوقع نظرها على ظهر لوكا، بينما كان يخرج من حوض السباحة. أما هي فاستدارت لتسبح إلى الجهة الأخرى. وكانت نبضات قلبها تتسارع كأنها آلة لثقب الصخور.

كان لوكا يقف بانتظارها وهو يتمطى. أما هي فكانت لا تزال تشعر بألم محبط. قبلت مساعدته لإخراجها من البركة على مضض فيما قال متعمداً بنبرة آمرة: «تعالي لنقوم بنزهة معاً».

- وهل أملك الخيار؟

تحدّتها عيناه بازدراء: «بالطبع لديك الخيار».

توهّج خدا الكسا ونفضت يدها وركضت لتلتقط قميصها، ولبسته لتحتمي من نظرات لوكا المتفحصة.

صوبت نظرة ساخرة نحو حوض السباحة والأثاث الفخم، وقالت

بتهكم: «أهكذا يتصرف الأمراء عادة؟ ظننت أنك ترعرعت على القيام بالواجب والخدمة والتضحية بالذات».

أصبحت نظراته قاسية وقال: «أنا أتمتع بالزخارف، لكن هذا كل ما هي عليه. . . مجرد زخارف».

كانت تشعر بالغضب، لأنها أرادت أن تكون أكثر من مجرد رفيقة لعب. فقالت بجفاء: «آسفة، لكني أنا لست أحد الزخارف».

حدق لوكا إلى الحديقة بابتسامة ضيقة كأنها حافة السكين. وفكرت الكسا باشمئزاز بأن هذا النقاش يجب أن ينتهي هنا، فهي لا تريد بالتأكيد متابعة الحديث في هذا الموضوع. لاحظت أن الأرضية مرصوفة ببراعة وفخامة، لكن الجدران كانت مرتفعة بما يكفي لتحول دون دخول أي متطفل.

قالت والحرارة تجتاح بشرتها من جديد: «آمل ألا يكون هناك كاميرا في أرض البركة».

تجاهل سؤالها ليقول برقة: «لا يتم تشغيل الكاميرات عندما أكون في الحديقة».

لقد باتت الآن متأكدة من أن لوكا يمضي الساعات باغواء النساء في ذلك المكان. حدقت فيه قائلة: «في الواقع. أود أن أرى الأفلام التي تصورها هذه الكاميرات».

أطلق ضحكة ملؤها السخرية: «أنت متأثرة. استرخي. . سوف تجدينها مملة بشكل لا يطاق».

ابتلعت الكسا ريقها، والتفتت بعيداً باحثة عن أي شيء تستطيع التحدث عنه.

ورقّ صوتها فجأة: «هذه ورود قطنية! كانت جدتي تحرص دائماً على زرع واحدة في حديقتها».

قال لوكا: «ورود قطنية؟ كنت أظنها أحد أنواع الخبازي».

- إنها تشبه الخبازي أليس كذلك؟ لكن أزهارها تدوم أكثر. . . ثلاثة

أيام على الأقل.

أوماً قائلاً: «ويتغير لونها كل يوم».

ـ كانت هذه الورود تدهشني في صغري... فهي بيضاء حين تتفتح، ثم تأخذ لوناً زهرياً لطيفاً وتنتهي بلون زهري غامق محبب.

مررت أصابعها على إحدى الورود بلطف، وقالت: «لمَ تحتاج إلى كل هذه الإجراءات الأمنية؟».

جاء صوته جافاً: «عليك أن تعرفي السبب، فأنت نفسك تعرضت للهجوم في تلك الليلة».

ألقت الكسا نظرة أخيرة على الورود القطنية، وتحركت قائلة: «حصل ذلك في المدينة. أما هنا فلا أحد يعلم بوجودك، وحتى لو علموا فالناس لن يتطفلوا عليك. قد يحدث أن يمر بعض صيادي الكنغر من هنا، لكن بإمكانك أن ترسل أحد أتباعك لتحذيرهم».

شبك أصابعه بأصابعها: «يمكنني تدبّر أمري جيداً مع أولئك الذين يصطادون ذوات الأربع قوائم».

قاومت الكسا إحساساً لاذعاً بالبهجة، واستغرقها الأمر برهة لتفهم ما يعنيه بقوله هذا. رفعت نظرها إليه مرتعبة لترى عينين مصقولتين غامضتين كأنهما مصنوعتان من المعدن: «لكننا هنا في نيوزيلاندا... لسنا معتادين على الخطف أو الاغتيالات».

خشن صوته فجأة وقال: «هذا الأمر يمكن أن يحصل في أي مكان».

رفعت الكسا بصرها نحوه، لكن وجهه لم يكن يظهر شيئاً وكذلك صوته حين قال: «هذه الإجراءات غايتها إبعاد الصحافة. نعم... لعلي أبالغ في الارتياب، لكن مهنتك ذات أهداف واضحة تماماً، وهي مهنة ماكرة حين يتعلق الأمر بالبحث عن طريدة».

قالت من بين أسنانها: «أنا لست مصورة صحفية، وأتخيل كم هو مزعج ومحبط أن تكون دائماً عرضة لملاحقة المتطفلين. لكن هل فكرت يوماً بأن الصحافة كانت جيدة لك ولداسيا؟».

التمعت عيناه خلف رموشه الكثيفة، وسأل بتهكم: «كيف ذلك؟ باستثناء تخصيصها حاشية في صفحاتها عندما يتعلق الأمر بمفاوضات اقتصادية؟».

ثم أجاب على نظراتها المستفسرة بابتسامة خالية من الفكاهة: «لم يكن أحد يتوقع من أمير عابث ومتأنق أن يقوم بشيء جدّي وذي أهمية».

أومأت برأسها موافقة بمرارة: «إذاً، فهم قد اساؤوا تقديرك».

كانت الكسا تعلم جيداً ما تعنيه كلمة «هم»، لأنها هي أيضاً قيّمته بشكل سطحي. ثم قالت بنبرة مختلفة تماماً: «ما هذا؟».

رأت كلباً يشم الأرض قرب شجرة النخيل. اقترب منهما وهو يهز ذيله، بعد أن شعر بأنه موضع ترحيب. انحنت الكسا وراحت تربت على رأسه الأشقر، ثم ابتسمت حين غمغم الكلب، وقالت وهي تداعب أذنيه: «إنه لطيف».

ثم رفعت بصرها نحو لوكا لتسأله بلهجة تحمل نبرة الاستهجان: «هل هو لك؟».

كان لوكا يراقبها بنظرة وامضة: «كلا، إنه كلب الحارس. ألا تعتقدين أنه يجدر بي أن أقتني كلباً؟».

ـ إن الكلاب حيوانات اجتماعية، وهي تحتاج إلى رفيق وليس إلى مالك متسلط.

أجاب ساخراً: «إذاً، لقد اتفقنا على أمر ما».

انتصبت الكسا واقفة، وقالت: «إذا كنت قلقاً إلى هذا الحد من أن يقتحم أحد الصحفيين مقرك هذا، فعليك اقتناء بضعة كلاب شرسة، وليس كلب عجوز لطيف كهذا».

قال بهدوء وهو ينحني ليداعب الكلب: «هناك كلاب أخرى في الجوار».

أحست بسيل من الأحاسيس في داخلها، وهي تراقب انعكاس النور على شعر لوكا الأسود، فيما هو منحنٍ يداعب الكلب. وكادت تشعر

بالاختناق وهي تقتفي أثر أشعة الشمس التي تعانق تلك الرموش الكثيفة فوق عينيه اللامعتين.

أبعدت نظرها وركزته على شجرة، وسمعته يقول من خلفها: «أنا أحسدك... وأحسد أولئك الناس هنا... لقناعتكم التامة بأن العالم مكان جميل».

قالت الكسا بهدوء: «كلا، هذا غير صحيح. فأنت تعتقد بأننا ساذجون تماماً».

وتابعت سيرها بين صفوف من الشجيرات والأزهار، والكلب يسير وراءهما متفحصاً المكان. كانت تريد معرفة المزيد عنه، فسألته: «لا بدّ أنك تثق.. أو وثقت... بشخص ما.. أسرتك، حارسك الشخصي؟».

هز كتفيه العريضتين في حركة لامبالية: «إذا لم يكن بإمكانك الوثوق بأسرتك، فبمن يمكن الوثوق؟ ثم إن ديون ليس حارساً شخصياً... إنه خبير أمني».

لا شك أنه المسؤول عن نشر هذه الأنوار الكاشفة والكاميرات في المكان.

أدركت الكسا أن لوكا يراوغ، لكن الكلمات التي أرادت أن تنطق بها جفت في حلقها. فقد كان لوكا يبتسم لها، مستخدماً سحره الفتّان ليمنعها من التمادي في أسئلتها.

هذه النزهة في الحديقة كانت بمثابة تحذير لها. فقد أرادها أن تعلم بأنّ لا أمل لديها بالتسلل إلى منزله دون أن يتم الإمساك بها وتعريضها للاحتقار.

أحست بالغضب والألم. لكن ابتسامة لوكا جعلتها تجاهد لاستعادة توازنها.

لاحظ لوكا تلك النظرة الواشية، وتلك الحركة البارعة لفمها المكتنز الشهي. وراح يتساءل بسخرية لماذا شعر بالخيبة. أيكون ذلك بسبب مقاومته لتلك الرغبة البلهاء في داخله التي تدعوه للوثوق بها؟

بعد أن قام ديون بتفتيش منزلها ولم يجد لديها المزيد من آلات التصوير،

عرف أنها أخبرته الحقيقة. وجد لوكا نفسه بعد سيناريو يفسّر وصول تلك الشائعات إلى الصحيفة. وإذا به يتوصل إلى أن التفسير الأكثر منطقية هو التفسير الصحيح؛ الكسا هي من باعت الأخبار لتلك الصحيفة، ومنذ أن أخذ منها هاتفها الخلوي وآلة التصوير لم تعد تلك الأخبار تظهر في الصحيفة.

للحظة راح يفكر كيف يمكن أن تجري الأمور بينه وبين الكسا، إلا أنه سرعان ما طرح هذا الوهم جانباً. فهو قد نشأ على اعتبار الواجب أسمى ما في الحياة، ولن يتغيّر الآن.

عليه ألا يلمسها بعد الآن.

مع أنه يتوق للحصول على ما تقدمه له من إغراء، رغم تلك الممانعة المليئة بالحماسة والتي تنهشه من الداخل بشكل مؤلم وعذب في الوقت نفسه. إلا أن سلامة غاي أهم بكثير من إشباع المشاعر الملحة في معانقة الكسا، ورؤيتها غارقة في السعادة بين ذراعيه.

ما إن يتم التوقيع على الإتفاق بين المتمردين والحكومة، وتنشر قوات حفظ السلام في سانتاروزا، حتى لا يعود لاحتجاز غاي كرهينة أيّ أهمية، ولن يهتم عندئذٍ بعدد الصحفيين الذين ستتصل بهم الكسا أو لما ستقوله عنه أو عن مكان وجوده. إنما في الوقت الحاضر، يحتاج إلى البقاء بعيداً عن أعين الصحافة، ويجب ألاّ تتسرب أيّ معلومات عن عملية السلام المحتملة وعن دوره فيها. لذا عليه ابقاء الكسا سجينة عنده دون أن تشعر بالأمر، لكي يتأكد من عدم مغادرتها الجزيرة أو اتصالها بأي كان وأفضل طريقة لذلك هي ابقاؤها في ضيافته حيث يمكنه مراقبتها.

قال ممعناً في التفكير: «لا تعجبني فكرة عودتك إلى منزلك حيث لا يوجد كهرباء».

التمعت عيناها الرائعتان كأنهما الكريستال النقي، وقالت له: «سأتدبر أمري».

فكر لوكا أنّ ما من شك في ذلك، فهي امرأة عملية بشكل يثير الدهشة.

ـ لا يوجد ماء، ولا يمكنك طهو الطعام.

قالت مصححة: «هناك موقد. وإذا قام أحدهم بنزع غطاء الخزان، فسيصبح بإمكاني سحب الماء».

رفعت ذقنها المربع الشكل إلى الأعلى، كما تفعل دوماً حين يحتدم الجدال بينهما.

ـ لِمَ لا تمضين الليل هنا، فالتيار الكهربائي سيعاد غداً.

أدارت رأسها قليلاً إلى الجهة الأخرى، وراحت تنظر إلى الكلب.

لقد اعتاد لوكا على ترويض مشاعره عند رؤية امرأة جميلة، لكن في الكسا شيء مختلف. فذلك الخط المستقيم في أنفها، وتلك الجرأة في فمها وفي زاوية ذقنها عندما ترفعها باستخفاف، كل ذلك يصيبه في الصميم، فيشعر بضعف لا يمكنه احتماله. قال ببرودة: «لن أضع يديّ عليك ثانية».

تصاعد الدم إلى خديها وفمها. ارتياحاً؟ لا يعتقد ذلك. لكن بالرغم من شعورها بالغواية فهي لن تستسلم.

قال وهو يبتسم: «تعرفين أنك ستشعرين بارتياح أكبر هنا».

كانت الكسا تدرك بأن عليها العودة إلى منزلها، فهي تعرض نفسها للخطر بمكوثها هنا، تتحدث إلى لوكا وتراقبه وتطرح التساؤلات حوله. فأجابت برد لاذع: «إنك تفاجئني. هل يعني ذلك أنك تثق بي، وبأني لن أهرع إلى أقرب صحيفة ما إن أعود إلى أوكلاند، لأخبر عن المكان السري الذي التقيت فيه بأمير داسيا؟».

راح لوكا يضحك: «لم يعد لذلك أهمية فقد حصلت على عطلتي الهادئة، ثم إني معتاد على الإشاعات التي ينشرها الانتهازيون، بالإضافة إلى أني لا أعتقد أن ذلك هو أسلوبك».

انفجرت قائلة، وهي تخفي حزنها وألمها بفورة من الغضب: «لكنك تعتقد أن أسلوبي هو بيع الأخبار المسلية والمعلومات لمروجي الشائعات في الصحف».

قال برقة: «لا ينطبق ذلك على هذه المرة».

كانت نظراته مصوّبة نحو وجهها، فابتسم قائلاً: «إذا بقيت هنا فأنا أعدك بعشاء أشهى بكثير من كل ما يمكنك إعداده بواسطة ذلك الموقد التعيس، بالإضافة إلى حمام لائق».

كان كلامه يوحي بالثقة، مما جعل مقاومتها تنهار.

فقالت الكسا وهي تشعر بامتنان في داخلها: «في كلامك إغراء لمعدتي، شكراً لك. أود قضاء الليلة هنا، لكني أحتاج إلى بعض الأغراض من المنزل».

قال لوكا: «يمكننا أن نتمشى معاً إلى هناك.. أو أرسل جيل لاحضارها».

قالت الكسا على الفور: «سأحضرها بنفسي».

ـ سوف آتي معك.

حاولت الاعتراض، لكنها توقفت بعد أن لمست تصميماً أكيداً تحت مظهر لوكا اللطيف. فهزت كتفيها قائلة: «حسناً».

قبل أن تخلد إلى النوم، وقفت الكسا تحدق في صورتها في المرآة بقلق حاد. لقد أمضت الأمسية وهي تحاول السيطرة على نفسها، فقد بهرها لوكا بسحره وذكائه الرفيعين، وحديثه المشوّق. كانت عيناها مثقلتين بالنعاس، ووجهها أصبح أكثر رقة بشكل ما كأنه يتوق إلى عناق.

قالت وكأنها تحدّث صورتها في المرآة: «كان عليك أن ترفضي دعوته. غداً عليك العودة إلى المنزل، سواء تم إصلاح العطل أم لا، فكل ما حصل الليلة هو أنك كدت تفقدين صوابك».

في صباح اليوم التالي، كانت الكسا منفعلة ومضطربة بشكل عام، وفي كل مرة يبتسم لها لوكا تنهار دفاعاتها أكثر. وكان يفعل ذلك بصورة دائمة.

ربما أمكنها مقاومة ابتساماته، لكن تلك الأحاديث التي ترافقها كانت مذهلة ومثيرة مثله تماماً.. فهو مثير ليس فقط من الناحية الجسدية. وليس من العدل أن يتلاعب بعقلها رجل يملك هذه الجاذبية الجسدية والحضور بينما هو في المقابل يظهر احتراماً لآرائها، مما يجعلها عرضة لإغرائه.

كان لوكا يتمشى على مهل على حافة حوض السباحة حين قال: «حان وقت الخروج من الماء».

توقفت وهي تعوم على سطح الماء محاولة تجاهله، ونظرت بعينين شبه مغمضتين إلى قامته الطويلة المحاطة بهالة من نور الشمس. سألته كأنها مستعدة للقتال: «لماذا؟».

جاء صوته دافئاً يخفي نبرة من التسلية: «لأنك تبدين متعبة. هل تودين أن آتي لمساعدتك؟».

تحركت الأحاسيس في داخلها، وقالت بغطرسة وهي تسبح باتجاه السلم: «لا داعي لذلك».

اتسعت ابتسامته قليلاً، فتأكد لها أنّ هذا الرجل يمكنه معرفة ما يدور في رأسها وجسدها.

رمى لها المنشفة، فشكرته وراحت تجفف جسمها قبل أن تسير باتجاه الشرفة المظللة. أحست برجليها ثقيلتين، وأمسكت نفسها عن الانهيار على المقعد الوثير. لا شك أنها بلهاء لتسبح هذه الفترة الطويلة، لكنها كانت بحاجة لتصريف التوتر الذي يتملكها.

قدم لها لوكا علبة قائلاً: «الكريم الواقي من أشعة الشمس».

فردت باحترام شديد: «شكراً لك».

وجلست لتضع الكريم على ذراعيها ورجليها وكتفيها، غير مبالية بنظراته التي راحت تراقبها وهي تمرر يديها بتأن على بشرتها.

قال بصوت بارد: «آمل ألا تعتادي على إجهاد نفسك في السباحة. فإن ذلك خطير».

ردت الكسا بسرعة: «عادة أكون شديدة اليقظة عندما أسبح بمفردي».

انعقد حاجباه بعبوس بينما عاد ليستقر في مقعده. جيد! فعلى الأقل ليست الشخص الوحيد الواقع تحت تأثير تلك النزوة الطائشة المندفعة بقوة والتي تهدد بكارثة. عادة ما تتخلص من الشحنات التي تربكها عندما

تستلقي في الشمس، لكن الأمر لم ينجح هذه المرة، بالرغم من محاولتها الحثيثة للتمسك برباطة جأشها، ورغم سخريتها من ذاتها، نهضت من مكانها وغمغمت: «الجو حار هنا! سأذهب لتغيير ملابسي. وبعد ذلك أفضّل العودة إلى المنزل».

انتصب لوكا واقفاً، وقال: «سأرى إذا كان التيار الكهربائي قد أعيد ثانية».

كامرأة تحب الوحدة، من الطبيعي أن يكون وجود لوكا الدائم إلى جانبها مزعجاً. وقد يكون اختباراً لمدى افتتانها به وميلها نحوه. هكذا فكرت بقنوط، بينما كانا عائدين إلى المنزل.

لم ينفع الحمام البارد الذي استمر طويلاً في تخفيف الغليان الذي تشعر به في دمها. ارتدت قميصاً قطنياً رقيقاً وبنطلوناً ضيقاً بلون القرفة، وسرحت شعرها إلى الوراء لتبعده عن وجهها، ثم وضبت أغراضها وثيابها في الحقيبة، قبل أن تستقر على مقعد على الشرفة المسقوفة.

انضم إليها لوكا على الفور، وسرعان ما أحست أن هيئته السمراء تسيطر على المكان. قال لها: «لم يتم تبديل المحول بعد، لذا فالكهرباء ما زالت مقطوعة هناك».

قطبت الكسا: «مع ذلك علي أن أذهب».

جلس ووضع ملفاً مليئاً بالأوراق على الطاولة، بالقرب من مقعده. وقال: «ابقي لتناول الغداء».

فتحت الكسا فمها لترفض اقتراحه، لكنه نظر إليها مبتسماً، فتلاشت الكلمات على لسانها. ما الضرر في ذلك؟ سأل صوت خائن في رأسها. فلوكا سوف يغادر قريباً ولن تراه ثانية؛ ولن يعود بالنسبة إليها لوكا الذي يذهلها حيناً ويغيظها حيناً ويستحوذ عليها تماماً في أحيان أخرى.

قالت بحذر: «شكراً لك».

بعد الغداء اقترح عليها القيام بنزهة على ظهر الأحصنة، فوافقت علها لتخفف ما يضطرم في قلبها.

امتطت الكسا ظهر فرس سهلة المراس، ناسبتها تماماً. كانت تنظر بإعجاب إلى قدرته على السيطرة بسهولة على الفرس التي يمتطيها، والتي هي أضخم بكثير من فرسها. منذ أن وعدها بالأمس بألا يلمسها ثانية وهو يعاملها بلطف وإنما بشيء من الجمود. كان الأمر سخيفاً ومعذّباً حقاً.

كان الوقت متأخراً حين رجعا إلى المنزل بعد ظهر ذلك اليوم، فقالت الكسا بصراحة: «سواء عاد التيار الكهربائي أم لا، فسوف أعود إلى منزلي الآن».

قال لوكا: «سأتحقق من الأمر».

اتصل بالمنزل لكنه ما لبث أن قطب حين تلقى الرد على سؤاله، وقال لها: «لم يتم اصلاح العطل بعد. اتصلت جيل منذ نصف ساعة لتستعلم، فقالوا إنهم سيبدلون المحول غداً».

ثم تابع ببرود: «من الأفضل لك أن تمكثي هنا ليلة أخرى، الكسا».

عضت على شفتها. إذا كان يحاول الضغط عليها فسوف تغادر فوراً. لكن أليس من السخافة أن تصر على الذهاب مع كل المصاعب التي ستواجهها، بينما يمكنها البقاء هنا؟

كما أنها ليست في خطر، فهي لم تقع في حب الرجل! حسناً، إنه يدهشها جسدياً وعقلياً، لكن كل ذلك سينتهي ما إن يعود لوكا إلى وطنه.

ليلة واحدة أخيرة، وبعدها ستغادر... ولكي تتأكد من أنها لن تتجاوز ذلك الحد الخفي الذي يفصل بين الإعجاب وبين أمور أكثرة خطورة فسوف تعود مباشرة إلى أوكلاند. عليها ألا تخبر لوكا بقرارها هذا؛ فإذا كان لا يزال يظن أنها على علاقة بتلك الصحيفة الحقيرة، فمن المحتمل أن يحاول منعها من الذهاب. ومن المحتمل أن يدرك، عندما لا تظهر أخبار في الصحف عنهما، أن بإمكانه أن يثق بامرأة واحدة على الأقل.

قالت له: «شكراً لك».

نظرت الكسا إلى ثيابها وهي تتنشق الهواء بضعف: «آثار ركوب الخيل ومياه البحر معاً، سأذهب لتبديل ملابسي».

وبما أن هذه الليلة ليلتها الأخيرة هنا، اختارت الكسا قميصاً بلون نحاسي، وبنطلوناً طويلاً بلون أزرق جليدي، وسترة مناسبة. ورفعت شعرها عن وجهها إلى الوراء في عقدة أنيقة.

قال لوكا بعد أن أبدى إعجابه بأناقتها: «فكرت بأن نتناول الطعام قرب حوض السباحة».

كان هو أيضاً قد بدّل ثيابه، وارتدى قميصاً وبنطلوناً أسودين ضيقين يناسبانه تماماً، بدا فيهما كبطل أسطوري قادم من العصور القديمة: «سوف يبدو منظر الغروب رائعاً».

... لقد كان كذلك بالفعل. فقد كانت السماء متقدة ببريق متوهج من اللونين القرمزي والذهبي، اللذين يتحولان إلى لوحة من الألوان ما إن يشرف النهار على نهايته وتزحف أولى طلائع الظلام. كانت مصابيح الإنارة مضاءة، فانعكست أنوارها على زوايا وجه لوكا الأسمر، مما زاد توهج اللون الذهبي في عينيه، وبروز عظام خديه البارزين، وفمه الصارم المرسوم بقوة.

وكأنما النور قد اندفع إلى داخلها كالجدول، مشعلاً النار في كل ما يصادفه.

بدا لوكا أبعد ما يكون عن زير النساء المتراخي الذي تصوّرته، فحس الدعابة لديه جعلها تشعر بأنها موضع ترحيب.

في الواقع، باتت تعرف عنه الكثير! راحت تفكر بعد العشاء أن بإمكانها أن تقضي بقية حياتها وهي تكتشف فيه أموراً جديدة. لكنها بالتأكيد لم تقع في حبه.

بعد انتهاء الطعام سألها: «هل تريدين الحليب مع القهوة؟».

ـ كلا، شكراً لك.

كان رأسها مشوشاً بالانفعالات التي لا يحق لها إطلاقها من سجنها.

قال لها لوكا وهو مقطب الجبين: «إنك ترتجفين».

فردت كاذبة: «إنها فقط قشعريرة، أظن أن عليّ الدخول إلى المنزل».

حاولت الابتسام، إلا أن فمها التوى بطريقة غير مناسبة: «في الواقع، أفضل العودة إلى منزلي».

ظل لوكا للحظة من دون حراك، وبدت عظام وجهه الخشنة العنيدة بارزة فأضفت على وجهه القوة والهيبة، وظهر عليه ارتياح شديد الوضوح، كأن النسيم حولهما اضفى عليه هالة من نور تلك المصابيح.

كاد قلب الكسا يتوقف عن النبض، فقد بدا لوكا كقرصان خطير، شرس ومتحجر القلب. أخذها بين ذراعيه وكأنه يخضع لسلطة أقوى بكثير من إرادته الفولاذية، قربها من صدره حيث نبضات قلبه المتسارعة ودفء عناقه المحفوف بالمخاطر.

إذا لم يتمكن لوكا من مقاومة مشاعره فعليها هي أن تقاومه. لكن إدراكها بأنه لم يستطع مقاومة تأثيرها عليه كان بالنسبة لها أقوى من أي إغراء.

استرخت الكسا بين ذراعيه وكأنها وجدت الملاذ الذي كانت تبحث عنه. وفجأة، شعرت بالخوف من ضعفها. فرفعت رأسها لتلتقي عيناها بعينيه المحجوبتين، وقالت بصوت أجش: «هذه ليست فكرة جيدة».

- لمرة واحدة، لست أبالي. منذ التقينا وأنت تقودينني إلى الجنون، وأعرف أنك تشعرين بما أشعر به تماماً، عندما أعانقك أشعر وكأنني أستولي على قطعة من الجنة.

أحست الكسا بأن روحها تكاد تخرج من جسمها، تحت بريق نظراته المتفحصة. قال لوكا وكأنه يخيّرها: «الكسا».

أجابت بتنهد: «نعم».

وقفا على الشرفة حيث المصابيح مطفأة ولا ضوء سوى نور النجوم. كان لوكا يعانقها بشغف، وبلطف مما بدد مخاوفها تماماً.

جلست الكسا على المقعد المتأرجح، وراحت تراقبه بعناية ما إن أدركت أنه يكبح نفسه ويتعمد السيطرة على شغفه؛ فهي ترغب برؤيته هائماً مثلها وقد استحوذ عليه شغف لا يقاوم.

حدّقت فيه بنظرة ضيقة مركزة، وعيناها الشاحبتان تشتعلان ما بين رموشها السوداء. فإذا بالتسلية قد تلاشت من تعابيره لتحل محلها ردة فعل أكثر بدائية. سألها لوكا بصوت متهدج جعل أعصابها ترتعش: «هل تدركين ما الذي تفعلينه بي؟».

كانت تشعر بسعادة غامرة، فكررت: «نعم، نعم».

لقد أدركت الآن مدى قوتها، وأنها تستطيع اجتياز حدود صلابته الفولاذية.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ المكيدة

أمسك لوكا بخصلة من شعر الكسا ولفها على كتفها، كستارة من الحرير النحاسي اللون، وسألها بتكاسل: «من أين لك هذا اللون المتوسطي؟».

ـ أبي يتحدر من أصل ايطالي.

مرر إصبعه برقة على وجنتها، مما بعث قشعريرة في أعصابها: «وهل كانت أمك اسكنديناڤية؟».

سألت الكسا بتكاسل، وهي تشعر بالاسترخاء التام إلى جانبه: «اسكنديناڤية؟ كلا. لقد كانت انكليزية... في الواقع، لقد قدم أجدادها من كورنوول. ما الذي جعلك تفكر بأنها اسكنديناڤية؟».

ـ إن العيون الشاحبة كعينيك تتحدر عادة من القسم الشمالي من أوروبا.

قالت الكسا بصوت حالم: «عيناي تشبهان عيني والدي أيضاً. إن الشيء الوحيد الذي ورثته عن أمي هو الشعر الأحمر».

عانقها لوكا برقة، بينما كانت الكسا تمرر أصابعها في شعره، وهي تشعر بالسعادة.. لكن سعادتها الحقيقية كمنت في معرفتها ضمنياً بأنه بات يثق بها، ولو قليلاً. لقد تحسنت فكرته عنها.. بما يكفي ليقتنع بأنها لن تفشي بتفاصيل علاقتهما للصحافة.

سألها لوكا: «إذاً، فوالدك الإيطالي كان يملك مثل هاتين العينين المذهلتين؟».

قالت الكسا كالمسحورة: «نعم وكانت جدتي تقول إنه ورثهما عن والده».

ـ هل توفي جدك وهو لا يزال شاباً؟

حتى لو توقف لوكا عن الشك بأنها واحدة من أولئك الصحفيين المتطفلين، فإن الأمراء يحكمون بقسوة على الأولاد غير الشرعيين. وهو قد يقبل بها كحبيبة، لكن عليها ألا تفكر بأيّ علاقة دائمة.

حسناً، مهما يكن الأمر، فإن علاقتها بلوكا لا مستقبل لها، فهو أمير وهي امرأة عادية، كما أنه يخطط لزواج مناسب بامرأة تقبل بالقيود المفروضة عليها ضمن هذا الزواج.. المكانة مقابل إنجاب الأطفال. أما هي فلن ترضى بشيء أقل من الحب. إنها لا تخجل بعائلتها، كما أن بارقة الأمل الضعيفة تلك ما هي إلا وهم!

قالت بهدوء: «مات جدي قبل أن يولد أبي. ذهبت جدتي إلى ايطاليا لتتابع دراستها الجامعية في اللغة، وهناك التقت جدي.. كان هو أيضاً طالباً، ووقعا في حب بعضهما، لكنه توفي وعادت هي إلى نيوزيلاندا حيث انجبت طفلها. كل ما بقي لدينا منه هو صورة التقطها أحدهم لهما معاً».

ـ متى التقيا؟

شعرت الكسا ببعض الدهشة.. لكنها كانت مسرورة لاهتمامه بما تخبره به.

ـ ما هو اسم جدك الكامل؟

هزت كتفيها: «لم تخبر جدتي أحداً به».

قال عرضاً: «وماذا تشعرين أنت حيال هذا الأمر؟».

ترددت قليلاً قبل أن تعترف: «الأمر أشبه بوجود ثقب في حياتك. لعل الأمر ليس هاماً، لكن من الجيد... حسناً، من الجيد أن أعرف أنني لست وحيدة تماماً في هذا العالم، وأن هناك شخصاً آخر يملك عينين مثل عينيّ، شخص يمكنه تذكر جدي».

هزت كتفيها قليلاً بعدم ارتياح: «لقد حاولت الاتصال بالجامعة،

لكني لم أحصل على أيّ معلومات. أتعلم... أعتقد أن سؤالي عن عينين رماديتين ايطاليتين لم يدفعهم إلى القيام بأي بحث! إن أي أسرة إيطالية سوف تتبرأ مني، لسبب أعرفه جيداً وهو أن جديّ لم يتزوجا».

قال لوكا بخشونة، وقد بدا وكأنه يفكر في أمر آخر: «لقد تغيّر الإيطاليون كثيراً في الفترة الأخيرة. لكن ماذا تعرفين أنت عن جدك؟».

ـ أعلم أن اسم والدي كان نيكولاس الكس، وقد أسماني الكسا نيكول تيمناً باسمه.

تفرس فيها قليلاً، ثم جلس بشكل سويّ واضعاً ذراعه أمام عينيه: «كانت جدتك شجاعة وممتلئة بالعزم. أتخيل كم كان صعباً عليها تربية طفل وحدها في تلك الأيام».

شعرت الكسا بعد ابتعاد لوكا عنها بالبرودة تجتاح بشرتها بسرعة. لكنها قالت باعتزاز: «لم يكن الأمر سهلاً، لكنها تدبرت أمرها».

لم تعد قادرة على التركيز على قصة جدتها الحزينة. فمع أن نبرة صوته لم تتغير، إلا أن الكسا شعرت وكأن أبواباً تغلق في وجهها. أحست بانقباض في قلبها، وفكرت بأن تلك الأبواب لم تكن مفتوحة أمامها من الأساس. وحتى لو فتحت أمامها فهي لن تعبرها أبداً، فالزواج من لوكا من دون حب سيكون كالذهاب إلى الجحيم.

توقفت عن التفكير بالأمر، واستدارت نحوه. إلا أنها شعرت بأن تفكيره كان بعيداً، فذلك الذهن المتوقد في مكان آخر تماماً.

أحست بجفاف في حلقها، فابتلعت ريقها، واعتدلت في جلستها قائلة: «سوف أعود إلى المنزل».

وقفت بطريقة مرتبكة، وقالت له: «تصبح على خير».

وابتعدت باتجاه المنزل بسرعة، فلم يحاول لوكا إيقافها.

في البهو، كانت مديرة المنزل تتشاور مع أحد رجال الأمن.. شعرت الكسا بأن ما حصل في الساعات الأخيرة يبدو واضحاً على وجهها المتورد. كان يجدر بها أن تشعر بالارتياح، لأن ديون بالكاد التفت نحوها مقطباً

وسألها: «هل ما زال الأمير بالقرب من حوض السباحة؟».

ـ نعم، إنه هناك.

شعرت بالسخط من نفسها بسبب شعورها بالضيق، وتوجهت فوراً إلى غرفتها. وما إن أحست بالأمان وهي تستحم، حتى راحت تسأل نفسها بغضب، لما تشعر بكل هذا الارتباك؟ في هذه الأيام، تعبّر النساء للرجال عن حبهن دون الشعور بأن ذلك إهانة أو تنازلاً من قبلهن. هذه هي المرة الثانية التي يضع ثقته فيها، كانت المرة الأولى في منزلها حين اقتنع بكلامها بأنه ليس لديها المزيد من آلات التصوير، وذلك يعني بالطبع بأنه بدأ... كلا... فكرت بحزن. إن ذلك لا يعني شيئاً.. إنها تأمل ألا يصيبها ما أصاب جدتها التي أحبت مرة واحدة فقط. ولا يمكنها أن تسمح بذلك، فهي لا تعرف لوكا كفاية لكي تقع في حبه. إنه أمير متغطرس ومستبد ومعتاد على الوصول إلى الاستنتاجات بغطرسة واستبداد. إنها حياة لا يمكن تخيلها. ومع ذلك فقد أطلقت العنان لذاكرتها الحالمة المبهورة، إلى أن قطعت تخيلاتها عندما اكتشفت بأنها تركت سترتها بالقرب من البركة، أو لعلها وقعت منها وهي في طريقها إلى المنزل.

عليها أن تستعيدها، فهي لا تريد أن تعيدها لها مديرة المنزل. راحت تشق طريقها عبر الباحة متسللة إلى الحديقة، متلمسة طريقها نحو المكان المظلم المحاط بالسياج، ينتابها شعور سخيف وكأنها سارق.

على الأقل لم يكن عليها أن تقلق بشأن الكاميرات... إلاّ إذا كذب لوكا عليها حين قال إنها غير مشغّلة.

لم تجد سترتها على الأرض، لا بد أنها وقعت منها بعد أن التقطتها عن المقعد. كاد قلبها يقع من صدرها، فقد كانت على وشك أن تفتح الباب المؤدي إلى حوض السباحة، حين سمعت لوكا يتكلم بصوت بارد ومتصلب، مما جعل أنفاسها تتجمد حتى قبل أن تسمعه يلفظ اسمها. كان يتكلم بلغة داسيا. قطبت الكسا محاولة تركيز انتباهها علّها تفهم الكلمات التي بدت لها من دون معنى. تلك الكلمات التي تشبه اللغة الأيطالية...

«لا يمكنني المخاطرة بذلك..» «وستكون خسارة كبيرة..» ثم بلهجة ملؤها الاشمئزاز «احتجاز».

أصابها الذهول، لكن غريزتها ظلت متيقظة. مهما كان ما يتحدث عنه لوكا، فإنه يتعلق بها، وهو لا يبدو مطمئناً. كان قلبها ينتفض بقوة، فاختبأت وراء أكمة خضراء مورقة.

أجاب ديون موافقاً بإخلاص، لكن كلامه جاء مرتبكاً وبارداً. سمعته الكسا يلفظ اسمها.. «الآنسة مايتون..» ثم يسأل: «متى؟».

تردد لوكا لحظة قبل أن يجيب بشكل فظ. كانت الكسا مشدودة الأعصاب إلا أنها تمكنت من ترجمة ما معناه: «دعها تنام هذه الليلة، فغداً سيأتون عند العاشرة، وسيتم الأمر قبل ذلك».

توقف قليلاً ثم تابع بهدوء: «سوف أتولى الأمر بنفسي».

حاول ديون الاحتجاج، لكنه صمت بعد أن قال لوكا كلمته. عند هذا الحد كانت الكسا قد سمعت ما فيه الكفاية. كانت خائفة وتتصبب عرقاً، وراح قلبها يخفق بشدة بين ضلوعها. ابتعدت عن الجدار وعادت أدراجها بهدوء عبر الحديقة المظلمة، وقد باتت تشعر بالتهديد والغموض.

حاولت اقناع نفسها بأنها لم تسمع جيداً، وأنّ الكلمات التي سمعتها قد تعني شيئاً آخر غير ما بدت عليه.

لكن لوكا لفظ اسمها وديون ردده بعده أيضاً، مما يعني أنها حتى لو لم تفهم ما كانا يقولانه، فإنهما حتماً تحدثا عنها. بحق السماء، من هم «أولئك» الذين سوف يأتون غداً؟ في الواقع، هذا ليس مهماً، فعليها الخروج من هنا، وبسرعة. وكل ما عليها فعله هو التسلل إلى الخارج والذهاب إلى منطقة الخليج العميق فيما الجميع نيام. فالظلام سيجعل من الصعب على أيّ كان أن يجدها. أما هي، فما إن تصل إلى الخليج حتى تستقل أول ناقلة إلى الجزيرة الأم. وإذا ما فكر لوكا بإرسال أحدهم للقبض عليها فسوف تملأ المكان صراخاً، وتطلب النجدة من سكان الجزيرة.

راحت الكسا تتنفس بصعوبة. دخلت إلى المنزل على رؤوس أصابعها

ثم تسللت إلى غرفتها في الوقت المناسب. فبعد دقيقتين، سمعت طرقاً على الباب، جعلها تقفز من مكانها، لكنها سرعان ما هدأت وتوجهت إلى الباب. بكل تأكيد، إنه لا يتوقع منها أن...

نظرة واحدة إلى وجهه لوكا الرائع الجمال، الذي يحمل مسحة من الخيانة والكذب، أظهرت لها أنه لم يأت إليها لفرط حبه. بدا رسمياً، واثقاً من نفسه، قادراً على السيطرة على حياته... كأمير وليس كعاشق.. وهو بالتأكيد ليس رجلاً عبداً لحواسه.

ابتسم لها قائلاً: «أتجلسين في الظلام؟».

شعرت الكسا على الفور بثقل الحواجز التي تفصل بينهما، وبذلك التباعد الذي لم تحسّ به منذ لقائهما الأول في أوكلاند. وأملت بأن تتمكن من إخفاء ألمها بما يكفي لتخدعه، فأجابته محاولة وضع نبرة صارمة في كل كلمة تنطق بها، فجاء صوتها خشناً: «إنني فقط... أفكر».

ضاقت عيناه قليلاً، لكنه عاد فاسترخى. وللحظة، ظنت أنها لمحت شبح أسف في تينك العينين الذهبيتين. وقال لها: «لا تفكري. تعالي لنقوم بنزهة».

جاءت ابتسامتها مرتجفة قبل أن تتمكن من السيطرة عليها، وقالت: «إنني متعبة فلنؤجل النزهة إلى مساء الغد».

ـ لن نتأخر كثيراً، إنها أمسية رائعة.

إن رفضها القاطع قد يجعله يشك بها كما أن لديها الليل بأكمله لتدبر أمر هروبها، فأول مركب ينطلق من الجزيرة عند السابعة صباحاً. أحست بجفاف في حلقها وطنين في رأسها، لكنها قالت: «حسناً، فلنذهب».

وخرجت من الغرفة بعد أن أغلقت الباب خلفها.

سارا بصمت عبر الحديقة المظلمة، تظللهما النجوم المتألقة في السماء، وتلفهما دوامة من المشاعر العميقة المشوشة والمثيرة للاضطراب. في ذلك الجو الرطب ذي النكهة المميزة، حيث يتسلل ضوء النجوم باعثاً الحياة في المكان، راحت الكسا تتأمل المكان من دون أن تلتفت إلى الرجل السائر

بجانبها، محاولة السيطرة على نفسها. قادها لوكا عبر ممر مرصوف ببلاط من اللون الأبيض لم يسلكاه من قبل، يحيط به سياج مرتفع ومتين، يؤدي إلى فناء مغطى بالأعشاب والنباتات.

كانت الكسا تصغي إلى وقع أقدامهما على البلاط الصخري، فقالت بصوت أجش: «إنها حديقة سرية».

ثم انحنت لتتنشق عبير إحدى الورود، ولم ترفع رأسها إلى أن كادت تصاب بدوار بسبب عطرها القوي. في تلك اللحظة انزلقت رجلها وكادت تقع أرضاً، إلا أن يد لوكا أمسكت بذراعها، فاستعادت توازنها. قال لوكا بهدوء: «حاذري».

ثم أكمل ونبرة مشوشة من الصرامة تغلف كلماته: «تعالي لتشاهدي الجزء الباقي من الحديقة».

رافقته الكسا بحذر، فعبرا بوابة ضيقة ليصلا إلى مكان آخر أكثر روعة وجمالاً. أخذت نفساً عميقاً، وراحت تنظر ببهجة إلى النباتات بأزهارها ذات العطر القوي الفواح.

ـ إن المكان رائع.

ـ فكرت بأنك سوف تحبينه.

لاحظت الكسا وجود مبنى صغير محاط بالعديد من الشجيرات. فسألته: «أهذا هو المنزل الأساسي؟».

وفيما سارا باتجاه شرفة من الطراز الڤيكتوري، راح وقع أقدامهما يحدث صوتاً قوياً وحاداً على الأرضية الخشبية. لفت انتباهها التصميم الدقيق لذلك البيت الصغير المتميز ببساطة وسلاسة هندسته.

أتراه عرف أنها استرقت السمع إلى محادثته المضطربة مع ديون؟

كلا، وكيف يمكنه أن يعرف؟ إلا إذا كانت الكاميرات تعمل.. وحتى لو حصل ذلك، فمن أين له أن يعرف بأنها تتكلم الإيطالية بشكل جيد، مما يسمح لها بفهم ما كانا يقولانه؟

ـ نعم، أستعمله أحياناً كمنزل للضيوف.

ثم فتح الباب وأنار الكهرباء قائلاً: «أمضى المصمم وقتاً لا بأس به ليتمكن من ايجاد قطع أصلية لهذا المنزل».

دخلت الكسا... لكنها لم تر تلك الغرفة الصغيرة المميزة بطابعها وأثاثها الكلاسيكي. فقد تسارع نبضها، واندفع الادرينالين في أنحاء جسمها، وأحست بحاجة للخروج بسرعة من هذا المكان وكأن كل خلية من خلاياها وكل عصب من أعصابها تنذرها بالخطر.

استدارت وتظاهرت بالتثاؤب قائلة: «إن المكان رائع، لكني متعبة جداً وأود أن أعود الآن، لوكا».

ـ أخشى أنه لا يمكنك ذلك.

جمّدتها كلماته، ونظرت إلى وجهه فإذا هو متصلب كالصخر، بارد، وحذر كقناع مصقول. أدركت باشمئزاز أنها وقعت في الفخ. لم يكن لديها أمل بأن تصل إلى الباب، فلوكا يقف في طريقها. ولم يكن لديها أدنى شك بأن النوافذ مغلقة باحكام.

قال لوكا بتصلب وتصميم: «آسف، لكنك سوف تمكثين هنا، ربما لأربع وعشرين ساعة، وبعدها ستكونين حرة في الذهاب حيث شئت».

كانت الكسا مصدومة لشدة بلاهتها، وراقبته وهو يتراجع إلى الوراء. وحين استدار ليخرج من الغرفة، نادته بصوت ملؤه الغضب: «دعني أخرج الآن، قبل أن أملأ المكان بالصراخ».

ـ إن الصراخ سوف ينهكك ولن يأتي بنتيجة، لأن الأشخاص الوحيدين الذين سيسمعونك هم رجال الأمن الذين يعملون لحسابي.

توقف قليلاً قبل أن يتابع: «آسف الكسا. أنا مضطر في هذه اللحظة لاعتبارك خطراً على الأمن. أرجوك، لا تحاولي الهرب».

أحست الكسا بالألم، لكنها تمكنت من سؤاله: «لمَ تفعل ذلك؟ ألا زلت تعتقد أني أسرب أخبارك إلى الصحف؟».

أجاب لوكا بفظاظة: «نعم».

وبينما راحت تحاول فهم تصرفه البارد هذا، كان قد غادر الغرفة

وأغلق الباب خلفه. سمعت صوت المفتاح يدور في القفل، محدثاً صوتاً عميقاً في الباب الخشبي الصلب، ثم صوت صرير ناجم عن حركة المزلاج عند إغلاقه.

هذا كثير على ما تسميه ثقة!

لم تصدق الكسا أن لوكا احتجزها حقاً. وقفت دون حراك شاعرة بمرارة وحنق إلى أن تأكدت من أنها أصبحت وحيدة. عندئذٍ فقط، راحت تستكشف سجنها المؤقت. راحت الكسا تنظر حولها محاولة كبح الإحباط الذي تشعر به، فرأت سريراً مزدوجاً من الطراز الرومنسي.. مغطى بقماش كتاني. وعند مقدمة السرير، وضعت حقيبتها فوق صندوق صغير. فتحتها الكسا، ووجدت فيها كل حوائجها. لا بد أن أحدهم ذهب إلى منزلها وجمع كل ثيابها وكتبها. أجالت بصرها في أنحاء الغرفة، فإذا بها ترى الكومبيوتر الذي يخصها موضوعاً على طاولة جانبية، ويبدو غريباً تماماً عن هذا المكان. تفحصت المقر الصغير بسرعة ولكنها لم تجد خطاً هاتفياً، مما يعني أنها لن تتمكن من طلب النجدة عبر الإنترنت.

تابعت تفحّص المكان بوجه جامد، فدخلت المطبخ وفتحت البراد، لترى الكثير من الأطعمة.. لم تجد في المطبخ سوى سكين وشوكة وملعقة من البلاستيك موضوعة في الدرج.

يمكن للوكا توقع ما تفكر فيه بالتحديد. فلا أدوات يمكن استعمالها كآلات، وما من خزف يمكن كسره واستعماله، وما من أدوات معدنية على الإطلاق.

راح رأسها يضج بمزيج عنيف من الألم والخوف والغضب، لكن من دون جدوى. فكرت أن لوكا لا يمكن أن يكون قد رتب كل هذه الأمور منذ رأته يتحدث إلى ديون. لا بد أنه أمضى الوقت معها بالقرب من حوض السباحة، وهو يخطط لاحتجازها هنا. حاولت أن تهدىء من انفعالاتها لكي تتمكن من التفكير والتخطيط لخروجها من هناك، فراحت تتابع تفحّص المكان.

كانت النوافذ المزدوجة مفتوحة من الجزء الأعلى، مما يسمح للهواء النقي المنعش بالدخول إلى الغرف. لكن الأقفال كانت محكمة، والنوافذ مزوّدة بقضبان حديدية، وكسرها للزجاج لن يسمح لها بالخروج مطلقاً.

من الواضح أن لوكا كان يغازلها ببرودة واحتيال مدروسين، لكي يشغلها بينما يهيىء لها هذا المكان لاحتجازها. التفكير بالأمر سبب لها الأذى، فحوّلت أفكارها بسرعة إلى سواه. ماذا يحصل بحق الله؟ من هم أولئك الغامضون الذين يخشى لوكا أن تسرب أخبارهم إلى الصحافة؟ ولماذا يأتون إلى هنا؟

لم تتمكن من متابعة التفكير، لأن أحساساً بالكرب والحرمان راح يتسلل إلى دماغها، ويحولها إلى شخص ذليل ومحطم لا جدوى منه. ربما كان هذا بالضبط ما يريده لها لوكا.

وكأن تياراً كهربائياً صعقها عند هذه الفكرة، فاندفعت إلى قبضة الباب تحاول معالجتها من جديد. راحت تحركها بقوة، قبل أن تستسلم وتتراجع إلى الوراء. حتى لو تمكنت من تحطيم الأقفال، فإن الباب موصد من الخارج بالمزلاج، كما أنّ الباب حصين. وأحست بموجة عميقة من الخوف أثارت القشعريرة في جسمها.

حسناً، لن تحاول الصراخ إلا إذا تأكدت من أنّ ذلك يؤدي إلى نتيجة. فلوكا الذي كان يغازلها بحرارة وشغف، قد يقوم بتخديرها من دون أن يرف له جفن.

انهارت فوق مقعد وثير، وراحت تقاوم الإحساس باليأس، في محاولة لرسم خطة للتخلص من ورطتها. وفي اللحظة نفسها، سمعت صوت طائرة هليكوبتر قادمة من ناحية البحر.

من تراها تقل إلى هنا؟ أهم أولئك الذين من المتوقع أن يحضروا غداً في العاشرة صباحاً؟ أتراها أصبحت سجينة لأن أولئك قرروا تغيير خططهم؟

وبالرغم من محاولتها استخدام المنطق، إلا أن الكسا رفعت يدها المرتجفة إلى فمها. حاولت أن تسخر من نفسها بسبب خيالها الناشط، إلا أن

شعوراً بالفراغ في صدرها وجفافاً في حلقها أنذراها بأنها ستصاب بالهلع. فقالت لنفسها بحزم: «الشاي، أريد كوباً من الشاي».

وفيما كانت تحضر الشاي سمعت صوت محرك الهليكوبتر. وبعد أن حملت الكوب إلى الغرفة، راحت تحدق عبر النافذة محاولة التفكير بهدوء. فقررت أنّ على لوكا أن يدفع ثمن فعلته هذه، حتى لو اضطرها الأمر إلى تمضية بقية حياتها لتحصل على انتقام مناسب يشفي غليلها!

صوت ضجيج يخترق الصمت من جديد، ويبدو قادماً من البعيد، ثم اتضح أنه صوت هليكوبتر أخرى. كان المحرك يحدث دوياً في رأسها، لكنها تمكّنت هذه المرة من رؤية الطائرة. كانت أنوارها تومض بقوة وهي تتوجه عبر الحديقة إلى الجهة الأخرى من المنزل. غطت الكسا عينيها بيديها. ما هي إلا لحظات حتى توقف المحرك عن الدوران ليسود الصمت من جديد. لمَ كان لزاماً على لوكا أن يحتجزها بعيداً هناك؟

قالت بكآبة وبصوت مرتفع: «لا أعتقد أن الأمير يخجل بوجود امرأة في منزله. إذا كان وجودي خطراً على الأمن، فهذا يعني أن هؤلاء الأشخاص موجودون هنا للقيام بأعمال سرية».

لكن من يكون هؤلاء؟ هل هو اجتماع للزعماء وكبار الصناعيين؟ إنه لا يبدو كذلك.

لا بد أن لوكا يدرك أنه بسجنه لها يعرض نفسه لتهمة الاختطاف والاحتجاز. إذاً فلا بدّ أن القادم على متن هذه الهليكوبتر، في غاية الأهمية.. وقد تكون المسألة مسألة حياة أو موت. لكنها شعرت بأن قصة اجتماع أرباب الصناعة لوضع خطط أنجح وأفضل لصناعاتهم أمر غير مقنع.

لعلهم من الدبلوماسيين؟ إنما، لمَ يرغب حاكم جزيرة أوروبي، بإجراء مباحثات دولية في نيوزيلاندا؟ جعلتها هذه الأفكار تشعر بالمزيد من الشك والريبة.

هل الأمير متورط في أمور غير شرعية؟ كلا، ليس لوكا. فمهما بدا

تصرفه الأخير غير منطقي، إلاّ أنها واثقة من أن لوكا لا يمكن أن يقوم بأمور مماثلة. لكن بحق الله! ما هو ذلك السر الخطير الذي يدفعه لاختطافها؟ إن الأمر الوحيد الذي يمكنها التفكير فيه، هو أنّ المسألة تتعلق بمصلحة شعبه. إذا كان ثمة مخاطرة في هذه المسألة، فلن يتورع لوكا عن أيّ شيء من أجل وطنه.

نظرت حولها إلى الغرفة النظيفة المرتبة، فلم تتمكن من حبس تنهدها. ها هي هنا، تحاول ايجاد أعذار لتصرف لوكا معها، لأن احتمال أن يكون قد غرّر بها ببرودة وسخرية مؤلم جداً.

غمغمت: «حسناً، إذا كنت تعتقدين أن بإمكانك الوقوع في حبه فقد تعلمت درساً».

وقع نظرها على مجموعة من المجلات مصفوفة بترتيب فوق طاولة خشبية أنيقة. فأحست بحرارة الارتياب تسري في جسدها، إلا أنها طردتها وقالت بصوت مرتفع: «على الأرجح أن تكون السيدة مارتن الطيبة هي من فكر بذلك. كم هو مذهل ما يقوم به البعض من أجل كسب رزقهم».

لم يكن بمقدورها التركيز على أيّ مجلة، أو أي كتاب. وفجأة أخذت تتثاءب بشكل غير متوقع، وقد تملكها الإنهاك. شعرت بثقل في عظامها ورأسها، إلا أنها عادت تتفحص المكان بدقة، باحثة عن أيّ ثغرة يمكنها اختراقها، فهي لن تجلس مكتوفة اليدين وسجينة دون أي محاولة للهرب.

بعد فترة طويلة من البحث، كان عليها أن تعترف بهزيمتها. فهي لن تستطيع نزع الأقفال بأظافرها، وليس لديها ما يمكنها أن تستعمله كأداة لفتحها أو إزالتها.

كانت تشعر بالألم والغضب معاً، فاستبعدت من رأسها فكرة تغيير ملابسها وارتداء ثياب النوم، واستلقت على السرير، تحدق في الظلام. راحت تدور في رأسها افتراضات مقلقة لا طائل منها، وهي تحاول الإصغاء للأصوات في الخارج، لكن الصمت وحده كان سائداً، إلى أن غرقت في نوم عميق.

فتحت الكسا جفنيها الثقيلين للنور والارتباك. وحاول ذهنها المتبلّد أن يستوعب مكانها. ابتلعت ريقها عدة مرات، لأن حلقها كان جافاً كورقة الزجاج.

أجبرت نفسها بصعوبة على النهوض من السرير. وعندما تمكنت أخيراً من الوقوف، كان عليها أن تتكىء على كرسي، لتمنع نفسها من السقوط. كان رأسها مشوشاً وساقاها لا تكادان تحملانها. أدركت الكسا أنها بكت أثناء نومها...

عضت على شفتها وسارت متعثرة إلى الحمام لتغسل وجهها. ألقت نظرة على ساعة يدها، فإذا هي السادسة والنصف صباحاً. ملأت كوب الماء وشربته بشراهة، متلذذة ببرودته، ثم عادت إلى غرفة النوم، واستلقت على السرير من جديد.

كانت مستلقية وهي تضع يدها خلف رأسها، وتحدق إلى النافذة. كلما فكرت أكثر بوضعها، كلما ازدادت قناعة بأن لوكا غازلها بقصد السيطرة عليها. اجتاحتها موجة من المرارة والأسى والحزي. لقد كانت عمياء، وسمحت له بأن يخدعها بسهولة.

إنها تعلم أنها ورثت عن أبيها قامة ممشوقة، كما ورثت عن أمها بشرة مخملية. وأن ساقيها الطويلتين وقدميها الصغيرتين ونهديها المتلئين تجعلها تبدو أنيقة في ثيابها. إلا أن كل هذه الصفات لا تقارن بمواصفات النساء الجميلات المتألقات اللواتي عرفهن لوكا من قبل.

كانت تعلم كل ذلك، لكنها تجاهلت بعناد كل تحذير وكل غريزة نبهتها. وعند أول مشاعر اجتاحتها، تركت نفسها تنقاد كالساذجة وراء جاذبية لوكا القوية، ورجولته الطاغية. لو أنها قامت بمحاولة فقط، لما جعلت الأمر سهلاً عليه إلى هذا الحد.

غمغمت مشمئزة من نفسها: «واجهي الأمر، لقد تخليّت عن كل حس سليم، وقدرة على السيطرة على الذات، أمام رجل ساحر».

لمحت بطرف عينها لوناً مختلفاً على الطاولة الصغيرة بالقرب من

السرير، فقطبت جبينها وانحنت قليلاً، لترى زهرة طرية موضوعة بين حبتي فاكهة خضراوين..

أمسكت أنفاسها، والتقطت الزهرة، فأحست برعشة عندما لامست يدها قطرات الندى الرطبة، التي لا تزال تلتمع على بتلاتها البيضاء الناعمة. إنها وردة قطنية. شعرت الكسا باختناق في حنجرتها. أيكون هذا اعتذاراً صامتاً؟

كلا، هكذا فكرت وهي تقاوم لتستعيد شعورها بالاطمئنان. فلوكا تعمد أن يغازلها فقط لأنه أراد أن يفقدها اتزانها. وهذا الآن أمر مشابه... وعد كاذب بشيء لا نيّة له بتقديمه على الإطلاق.

أم أنه يسخر منها؟ فكيف يجرؤ على الدخول إلى الغرفة، ليراها وهي نائمة، ويضع الأزهار والفاكهة بالقرب من سريرها؟

انتابها شعور بالحزي، وراحت تتساءل إذا ما شاهد لوكا تلك الدموع التي كانت تخنقها حين استيقظت.

اندفعت إلى المطبخ، فأبعدت الستائر لتسمح لنور الشمس بالدخول إلى الغرف. بدت الحديقة المحيطة بالمكان متألقة بالأوراق والأزهار، المختلفة الألوان، داخل السياج الذي يحجب كل شيء حتى البحر.

أجبرت نفسها على شرب القهوة ثم انصرفت إلى جهاز الكومبيوتر، لتعمل على البرنامج الخاص بشجرة أسرتها. وهكذا مرّ النهار ببطء ممل، وسكينة لا يقطعها سوى صوت كلب الناطور، وشعورها الدائم بأنها مراقبة.

خلال الليلة التالية، كانت أحياناً تستيقظ على صوت محركات الهليكوبتر. وقد نبهتها هذه الأصوات مرتين بالتحديد، بينما كانت تستلقي بتثاقل على السرير، منتبهة بكل حواسها لما يدور حولها.

***

٩ ـ أذهلتني عيناك

ما الذي سيحصل الآن؟ خرجت من الغرفة بهدوء، ووقفت خلف الباب لئلا يتمكّن لوكا من رؤيتها عندما يفتحه. بالأمس، وبعد ذهابه كانت قد وضعت كرسياً هناك. لقد سبق لها أن شاهدت على الشاشة أناساً يحملون كرسياً من دون أن يشعروا بالتعب، لكن الكرسي يبدو ثقيلاً كأنه يعاندها، ومع أنها تمرنت على القيام بذلك عدة مرات، إلاّ أنها شعرت بأنها تبدو حمقاء تماماً وهي ترفع الكرسي عالياً فوق رأسها. تباطأت ضربات قلبها حتى كاد يتوقف عن الخفقان. كانت تسمع أصوات الهليكوبتر تبتعد باتجاه البحر، فأحست فجأة بارتياح عظيم.

لم تسمع خطوات لوكا وهو قادم، كما أنها لم تسمع صوت المزلاج أو القفل. إلا أنّ تبدلاً لطيفاً في الجو أنذر حواسها المتيقظة بأنه وصل. انفتح الباب، وتوقف على مسافة قريبة منها. لكن لوكا ظل واقفاً على العتبة. أتراه سمع صوت أنفاسها؟ كلا، لأنها لم تكن تتنفس مطلقاً. إذاً؟ ما الذي يجعله حذراً بهذا الشكل.. أهو صوت قلبها الذي يتخبّط باضطراب في صدرها؟

كادت الكسا تصرخ حين راح لوكا يضحك، قائلاً بخشونة: «كان علي أن أحزر».

أضاء النور وقال والتسلية بادية في نبرته وعينيه: «كرسي؟».

زمجرت الكسا والغضب يتآكلها: «بدت لي فكرة جيدة».

وضعت الكرسي جانباً وتراجعت من خلف الباب. وراحت تحدق إليه ورأسها مرفوع عالياً، إلا أن غضبها وعدوانيتها تحولا إلى قلق في اللحظة التي رأت فيها الظلال الداكنة تحت عينيه الذهبيتين. بدا وكأنه لم يذق طعم النوم منذ أن رأته للمرة الأخيرة.

ـ كانت فكرة جيدة، لكنك لست بحاجة للدفاع عن نفسك.

كان صوته يفيض بالتسلية، وأكمل بفتور: «لقد انتهى الأمر. إنك الآن حرة الكسا، وآمل أن تسامحيني يوماً ما لأني احتجزتك بهذا الشكل».

سوف يغادر لوكا البلاد... ويتركها. كادت تقولها، مع أن صوتها لم يقل شيئاً. فكرت بتحدٍ: لست آبه لذلك بينما كان قلبها المتألم يكذّبها.

سألته: «كم الساعة الآن؟».

ـ بعد ساعة يزغ الفجر. هل تودين العودة إلى منزلك أم إلى أوكلاند؟

قالت بسرعة: «إلى أوكلاند. لكني أريد قبل ذلك أن أعرف، ما الذي يحصل بحق الله؟».

صمت قليلاً ثم قال: «لا يمكنني أن أخبرك».

ـ هذا يعني أنك لا تثق بي.

ثم أطلقت ضحكة صغيرة ساخرة وأضافت: «لكن ما الجديد في هذا؟».

إنها ليست جيدة كفاية لتنال ثقته. أكد لها صمته ذلك. فأخذت الكسا نفساً قصيراً، ولكن قبل أن تتمكن من الكلام، قال لوكا بشكل مفاجىء: «أود أن أثق بك، لكني لا أستطيع ذلك. فالأمر...».

توقف قليلاً، ثم أنهى كلامه برباطة جأش باردة كالجليد: «الأمر ليس متعلقاً بك وحدك. تعلمت في وقت مبكر من حياتي، أن الأمير لا يمكنه الوثوق بأحد... حتى بأمه وأبيه وأعز أصدقائه. أريدك أن تصدقيني، فأنا لم أكن لأتصرف كطاغية مستبد لو لم تكن حياة بعض الناس في خطر».

حياة الناس؟ يبدو أنها رددت الكلمات بصوت مسموع، لأنه قال: «نعم، وبالرغم من شعورك بالسخط، أطلب منك أن تثقي بي».

رمقته الكسا بنظرة ملؤها الاضطراب: «لـمَ علي أن أثق بك؟».

هزّ لوكا كتفيه قائلاً: «ما من سبب يدفعك لذلك. إلا أن هذه... المسألة لم تنته بعد. فهل بامكانك أن تبقيها في الخفاء مدة أسبوع على الأقل».

انفجرت قائلة: «وهكذا ستسألني الشرطة، لما لم أتقدم بالشكوى على الفور؟».

أجابها بلا مبالاة: «يمكنك أن تفكري بالأمر إذا أردت».

كان لوكا يراقبها من خلال عينيه الضيقتين، ثم قال: «أسبوع فقط الكسا، هذا كل ما أطلبه منك. تقولين إني لا أثق بك، لكنك أنت أيضاً لا تظهرين الثقة».

ترددت: «وإذا رفضت».

قال بهدوء: «عندئذ عليك أن تبقي هنا، من دون احتجاز، وإنما كضيفة في منزلي».

ـ وإذا قلت لك إني لن أخبر أحداً، فهل تثق بي بما يكفي لتدعني أذهب؟

صمت قليلاً، شعرت الكسا بما يعتمل في داخله من مقاومة حين قال بهدوء: «نعم».

وبالرغم من شعورها بأن ذلك تهوراً غبياً من قبلها، إلا أنها غمغمت: «حسناً».

ـ شكراً لك.

شدت الكسا على أسنانها، قائلة بفتور: «حسناً، الوداع».

لم يتحرك لوكا من مكانه: «الوداع الكسا، هل هناك ما يمكنني أن أقوم به...؟».

ـ كلا.

أطبقت يداه على يديها، وسحبها نحوه وعانقها. بدأ عناقه لطيفاً يفيض بالحنان، ثم تحوّل إلى شغف عنيف جعل ركبتاها ترتجفان. انتبهت الكسا إلى أن تصرفه يعني الوداع، فالتصقت به بقوة إلى أن كادت تذوب خجلاً، ثم

اندفعت مبتعدة عنه.

تركها تبتعد قائلاً: «إني آسف».

جاء صوته رزيناً ومتحفظاً. فمن الواضح أنه لا يشعر بمثل ذلك الشعور المر الذي يجتاحها: «على كل شيء، أرجو أن تكون حياتك سعيدة، الكسا. كما أرجو ألا تحملي لي أيّ ضغينة».

استدار لوكا مغادراً. وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوت محرك الهليكوبتر يبدأ بالدوران، وهي لا تزال تقف جامدة في الظلام.

ظل ينظر إليها حتى اللحظة الأخيرة قبل مغادرته. أحست بالدموع تكاد تتدفق من عينيها وبثقل في حنجرتها يكاد يخنقها. لكنها إذا بدأت بالبكاء الآن فلن تتمكن من التوقف. فتحت الباب على مصراعيه، وعادت لتحمل حقيبتها.

***

قالت الكسا بصبر وهي تبحث عن مفاتيحها: «كلا، سين لا أريد تقديم كوب من القهوة لك».

راح رفيقها للسهرة يضحك ممسكاً بمعصمها: «هيا الكسا. لا تكوني مملة».

شعرت الكسا بالسخط مما دفعها إلى نبذ كل لباقة، فقالت بحدة: «عمت مساءً، لا تدع سيارة الأجرة تنتظر».

لكن رفيقها أصر: «لماذا؟ أنت تروقين لي وأنا أروق لك... فما هي مشكلتك إذاً؟».

إلا أن طيف شخص آخر لاح من أعلى الدرج. وبالرغم من أن عينا الكسا اتسعتا لرؤيته، إلا أنها عادت وعدلت رد فعلها؛ فشهران من البؤس والوحدة لم يكونا كافيين لها لتتخطى شعورها بأن كل رجل طويل أسمر هو لوكا.

لكن عندما قال القادم الجديد بلهجة مألوفة ومهلكة: «أنت هو المشكلة».

كاد قلبها يتوقف عن الخفقان، وتجمدت في مكانها. وإذا بها ترى سين يواجه لوكا قائلاً: «من أنت بحق الجحيم؟».

أجاب لوكا باقتضاب: «لست شخصاً تهمك معرفته».

وحوّل نظره من سين إلى الكسا: «هل تريدينه أن يغادر؟».

أجهدت الكسا نفسها لتتمكن من تحريك لسانها، بما يكفي لتقول بصوت أجش: «كان سيغادر».

أجاب لوكا بصوت يمكنه أن يثير الإرتجاف: «لقد سمعت ما قالته».

تلك النبرة المتسلطة في صوته ووقفته هزتا كيان سين. وبعد أن أصبح على مسافة آمنة، قال: «كان عليك أن تخبريني بأن ثمة رجل في حياتك، الكسا، وما كنت لأتطفل».

ظلت الكسا تراقبه مشدوهة لا تطيق الانتظار، بينما كان سين يتحرك بسرعة للحاق بسيارة الأجرة.

ساد الصمت بينهما، إلى أن كسرته الكسا حين قالت بصوت متوتر وفاتر: «شكراً لك».

سألها لوكا بلا مبالاة: «من هو؟».

ردت باقتضاب لأن الكلمات تعثرت على لسانها: «إنه صديق».

كان الارتباك والأمل يتصارعان في داخلها، فثبتت نظرها على المفتاح في القفل.

ـ هل يحاول أصدقاؤك التحرش بك؟

لولا تلك البرودة في نبرته، لساورها الشك في أن سؤاله يحمل مسحة غيرة. لكن لوكا لم يبد لها كعاشق عاد ليشكو نار حبه. فقالت وقلبها يكاد يهبط من صدرها: «هذا ليس من شأنك، لكن ما دام ذلك قد حصل. كلا، إنهم لا يفعلون ذلك».

كان لوكا يبدو طويلاً وداكن اللون كأنه ينذر بالشؤم تحت الضوء المتسلل من مصابيح الشارع.

ـ والآن، ماذا؟

كلمة مقتضبة أخرى.. سعلت الكسا ثم أردفت: «تجاوز الوقت منتصف الليل».

ـ إن الأمر هام.

كانت ترتجف، لكنها دفعت الباب وغمغمت: «من الأفضل أن تدخل».

في أيّ حال تركت شقتها؟ لم تعد تذكر. وأملت الكسا أن تكون شقتها مرتبة.

إنها ليست في حالة سيئة. فعلى الأقل هناك باقة من الأزهار... كانت قد اشترتها بعد ظهر ذلك اليوم، لأن كل شيء في حياتها بدا رمادياً. والآن ها هو سبب مأساتها وبؤسها الدائم، يقف أمامها، ينظر إليها بتجرد.

كانت الكسا تحس بوخز في بشرتها، فقالت بصوت مخنوق: «متى جئت إلى اوكلاند؟».

كان لوكا ينظر إليها بعينين شبه محجوبتين، ووجه لا ينم عن أيّ مشاعر: «وصلت مساء أمس في زيارة خاصة».

رمقته بنظرة متألقة، قائلة بجفاء: «لن أخبر أحداً بذلك».

هل جاء وحده أم برفقة تلك الأميرة التي تتحدث الصحف عن علاقته بها مؤخراً؟ وهذه المرة بدا الأمر أكثر جدية، فقد كان لوكا يمكث في قصر أسرتها في فرنسا.

ضاقت عيناه: «أعلم ذلك».

تخطّت الكسا رغبة مجنونة راودتها، وسألته: «هل اقتنعت أخيراً بأني لست من الصحفيين المتطفلين؟».

جاءت ابتسامته مطمئنة و... مهلكة: «نعم».

اتسعت عيناها وقالت بتأن: «كيف؟».

ـ لم تبيعي أيّ قصة أو صور، والتزمت بوعدك لي بعدم التحدث عما حصل.

كان من الأفضل التزام الصمت، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من

القول: «أنا لا أنكث بما أعد به».

ولأن كلامها بدا متزمتاً، تابعت تقول: «شكراً لأنك قمت باستبدال آلة تصوير والدي».

هز لوكا كتفيه: «لا داعي لشكري».

مما يعني أنه كلّف أحد أتباعه بهذه المهمة، رغم أن توقيعه كان على الرسالة القصيرة التي وصلت معها.

ثم أردف: «سبق لك أن شكرتني في رسالة رسمية قصيرة».

رسالة لم يجب عليها مما آلمها فسألته بهدوء: «هل أنت من دبّر لي فرصة لأعمل مع شركة «ترودي جركن»؟».

كانت الكسا تراقبة عن كثب، فلاحظت ارتجافاً خاتناً في أجفانه. وقالت بسرعة: «أنا ممتنة لك جداً، لكنك لا تدين لي بأي شيء. عندما قرأت عن اتفاق السلام الذي تم في سانتا روزا، أدركت لما كنت بهذه العدائية معي، لأني أتجول بجوار منزلك حاملة آلة تصوير».

عندما شاع الخبر، وانتشرت المعلومات بأن الاتفاق قد أبرم في بيت لوكا عند الشاطىء، راحت الكسا تلتهم كل ما يقع في يدها عن هذا الموضوع.

قال لوكا: «كنت في طريقي لمقابلة ممثلين عن حكومة سانتاروزا، في الليلة التي تعرضت فيها للهجوم».

كانت لهجته متحفظة كتعابير وجهه: «أصرت الحكومة على سرية المحادثات، لأن الدولة المجاورة كانت مستعدة لاجتياح أراضيها».

أومأت الكسا. إن لوكا يتعاطف بالتأكيد مع دولة صغيرة مهددة. ورمقها بنظرة حادة وتابع: «أرادت جماعة سانتا روزا قوة لحفظ السلام، قبل أن تتسرب أخبار الاتفاق إلى الصحف».

شبكت الكسا أصابعها معاً بقوة، إلى أن أصبحت بيضاء اللون تقريباً: «يمكنني أن أفهم حاجتك إلى السرية على الجزيرة.. كما أفهم لما ظننت أنني من سرب الأخبار لتلك الصحيفة... التي تبين بالصدفة فيما بعد، أنّ لديها جاسوس في مكتب كارول، يستمع إلى المكالمات الهاتفية... لكني ما زلت

اعتقد أن احتجازك لي كان رد فعل مبالغ فيه».

قال لوكا بحزم: «بدا أمراً ضرورياً في حينها. أعرف أن السجن سجن، مهما كان مريحاً، لكني سأكرر ذلك إذا اضطررت للأمر. آمل أن تدركي كم كنت أشعر بالاستياء لاضطراري للقيام بذلك».

أحست أن بشرتها تحترق فوق عظام خديها، عندما تذكرت تلك الوردة القطنية، فقالت بصوت هادىء: «هذا لا يهم الآن، يبدو أن اتفاق السلام قد نجح، وهذا لا يقدر بثمن».

تردد قليلاً، ثم قال بهدوء: «اجلسي الكسا، هناك ما أود أن أخبرك به».

رمقته الكسا بنظرة متمردة، لكنها اطاعته وجلست واضعة يديها في حجرها. فهي تريد إنهاء الموضوع!

ألقت نظرة على وجهه الصارم المتسم بالجدية، وراحت تتساءل إن كان لوكا قد قطع كل تلك المسافة ليعلمها بأنه سوف يتزوج تلك الأميرة. لماذا يزعج نفسه؟ فليس بينهما ما هو مشترك، سوى بعض المناوشات. قالت بتصميم: «تفضل».

قال لوكا بصوت حيادي وخال من العاطفة: «عندما رأيتك للمرة الأولى، أذهلتني عيناك».

لم تكن الكسا تتوقع ما سمعته، فرددت بارتياب: «عيناي؟».

بدا التوتر على فمه، وقال متشدقاً: «من بين أمور أخرى».

لكنه تجاهل حرارة اللون الذي اجتاح بشرتها، وتابع قائلاً: «لدي صديق له لون عينيك نفسه. كان لدي أمور أخرى تشغلني لذا فكرت بأن الأمر مجرد صدفة. وعندما أخبرتني أن والدك يتحدر من أصل ايطالي، وأنك لا تعرفين من هو جدك، بدا لي الأمر وكأنه لغز».

ـ لماذا؟

جاءت كلمتها خرقاء، فأدركت أنها كانت تحبس أنفاسها.

ـ لأن صديقي ينتمي أيضاً إلى تلك البقعة من العالم.

هرب اللون من بشرة الكسا، ولم تعد تقوى على الكلام. راحت تحدق إلى لوكا بنهم، منتبهة إلى الطريقة التي يلون بها الضوء بشرته.

تابع لوكا بهدوء: «بالرغم من أنك تحملين الاسم نفسه، فهذا ليس غريباً... لأن اسمي الكسا ونيكول هما اسمان عصريان. لكن عندما أخبرتني أنهما اسما والدك، ووالده الذي عرفته جدتك عندما كانت تدرس في جامعة في ايطاليا، أثار الأمر اهتمامي. وعندما رجعت إلى داسيا بحثت عن كل المعلومات المتعلقة برحلة جدتك إلى ايطاليا».

قالت الكسا بقوة: «لا يحق لك القيام بذلك، كما أنه ليس عليك أن تعوّض عليّ لأنك احتجزتني. كان عليك أن تخبرني بشكوكك، وأنا أقرر ما الذي أفعله».

انعقد حاجباه معاً، وقال لها: «كان هناك اعتبارات أخرى».

ـ أي اعتبارات؟

ـ هوية جدك.

أحست الكسا أنها لم تعد تستطيع التنفس. ابتلعت ريقها وقالت بصوت مبحوح: «هل وجدته؟».

وضع لوكا يده النحيلة في جيب سترته، وأخرج صورة وضعها على الطاولة أمامها: «هل تعرفين هؤلاء الأشخاص؟».

كانت يدا الكسا مثبتتين بإحكام في حجرها، فراحت تنظر إلى صورة الشخصين اللذين يبتسمان لبعضهما البعض في تلك الصورة الباهتة. قالت بصوت مبحوح: «نعم، فلدي صورة مطابقة لها تماماً».

ـ هل يمكنني أن أراها؟

مشوشة الذهن بمزيج من الألم والترقب، ركضت إلى غرفتها وأحضرت من خزانتها صورتين.

قالت مشيرة إلى الأقدم بينهما: «هذان هما جداي».

ثم أشارت إلى الصورة الأخرى مضيفة: «وهذان والداي. يمكنك أن ترى الشبه الواضح بين جدي ووالدي».

لم يظهر أي تغيير على سيماء وجه لوكا القاسي عندما كان يتفحصهما، إلا أنه وضعهما على الطاولة قائلاً: «نعم. إنهما يشبهان بعضهما إلى حد بعيد».

ـ إذاً، من يكون جدي؟

قال لوكا: «يبدو أن جدك كان ولي عرش ايليريا، حين التقى جدتك. إن فحص الجينات سوف يثبت صحة الأمر، لكن كل المعلومات تدل على ذلك».

ارتخى فكا الكسا، وعندما استعادت قدرتها على الكلام، قالت بتردد: «أتقصد الأمير الذي تزوج بامرأة نيوزيلاندية؟ كلا، إنه صغير السن!».

كان لوكا يراقبها بتركيز: «لست أعني الأمير الكس، وإنما والده الأمير نيكولا الذي كان يومها ولياً للعهد. لقد التقى جدتك في جامعة إيطالية وأحبا بعضهما البعض، وحين أنهت دراستها عادت إلى نيوزيلاندا وهي حامل بوالدك. لم يكن بإمكان الأمير نيكولا أن يكتشف الأمر، وأعتقد أنه قدم الدعم لجدتك وابنها بقدر ما أمكنه ذلك».

قالت الكسا بصوت ضعيف: «يبدو ذلك كالخرافة».

كانت تشد قبضتي يديها لتمنعهما من الارتجاف، محاولة تنظيم أفكارها المشوشة: «إنه أمر لا يصدق».

ـ كان لدى جدتك سبباً وجيهاً لتخفي عن ابنها كل المعلومات المتعلقة بوالده. فهي على ما يبدو امراة حساسة وطيبة. إن الرجل الذي يبدو في الصورة مع جدتك، هو بالتأكيد والد أمير ايليريا الحالي، عندما كان في الثلاثين من عمره. اذا كانت جدتك قد أدركت أنه لم يكن لديهما أمل بالزواج في تلك الأيام، فإن قرارها كان صائباً.

قالت الكسا كأنها مخدرة: «ولم تشأ أن تحمله عبء طفل غير شرعي. ماذا حصل له عندما تعرضت ايليريا للغزو؟».

ـ بعد أن أمضى تلك السنة في ايطاليا، ذهب إلى جامعة في سويسرا ثم إلى انكلترا. تزوج قبل حصول الثورة الشيوعية بوقت قصير، ثم راح يعمل

سراً كمزارع، إلى أن انكشف أمره. عندئذ ضحى بحياته ليفسح لزوجته وابنه الوقت الكافي للرحيل.

فجأة طفرت الدموع من عيني الكسا، وشعرت بالألم من أجل رجل لم تعرفه قط في حياتها. قال لوكا بهدوء: «نعم. كان جدك بطلاً يحق لك أن تكوني فخورة به».

ابتلعت ريقها: «أنا.. لا أعرف ماذا أقول».

ضحك بهدوء: «ربما للمرة الأولى منذ تعارفنا».

راحت الكسا تعض شفتها لتمنعها من الارتجاف: «لـمَ قمت بكل هذا العمل الشاق؟».

ـ بدا لي هذا أقل ما يمكنني أن أقدمه لك بعد معاملتي السيئة. أخبرتني أنك تشعرين وكأن هناك ثقب في حياتك. وبالرغم من أنك كنت تضحكين حين تكلمت عن عائلة ايطالية كبيرة، إلا أنك بدوت تواقة إليها.

إن اكتشافه هذا السر من أجل اسعادها يعني لها أكثر من أن يقوم بتقديم التعويضات لها.

قالت له مخفية ارتباكها وراء كلماتها: «أنا.. أشكرك».

رد بلا مبالاة: «لست بحاجة لأن تشكريني».

وتحولت قسمات وجهه إلى قناع برونزي بارد حين أضاف: «لسوء الحظ، بينما كنا نقوم بالبحث تحدث أحد الموظفين عندي إلى أحدهم عن امكانية أن يكون لنيكولا ابن آخر، فوصلت هذه المعلومة...».

شعرت الكسا بالأسف من أجل ذلك الموظف المهمل، وسألته: «إلى من؟».

انتظرت قليلاً، وعندما لم يتفوه بكلمة، غمغمت: «لا أعتقد أن ذلك مهم. فيبدو لي أن العائلة المالكة في ايليريا لن تبدي اهتماماً بقريبة مجهولة تعيش في الجهة الأخرى من العالم».

مع أن هذه الفكرة كانت تدغدغ أحلامها... عائلة ايطالية كبيرة وسعيدة؛ لكن الأمر مختلف الآن، فلديها عم هو أمير.

قال لوكا بصرامة: «إنك تظلمين الكس، فهو مهتم جداً للأمر. لقد اتصل بي، وعندما علم أنني قد قابلتك، طلب مني أن أدبر لقاء بينكما».

رددت الكسا وهي مضطربة لشدة الصدمة: «لقاء بيننا؟».

إذاً هذا هو هدف زيارته!

أحست بكتلة كبيرة في حنجرتها، فابتلعت ريقها لتقول بصوت أجش: «لماذا؟».

قال لوكا ببرود: «يريد أن يراك. وقد اقترح أن تلتقيا في داسيا لأنها مكان محايد، فزوجته الحامل لا تحتمل السفر لمكان بعيد، لكن يمكنها الذهاب إلى داسيا».

الذهاب إلى داسيا؛ أمل لطالما راودها ولم يمت أبداً، وها هو اليوم يتجدد. لكن لكي تهدىء من روعها قالت: «داسيا؟ لماذا داسيا؟».

قال بجفاء: «إن وصول امرأة لها مثل عيني كونسيدان ومثل بنيته إلى ايليريا سوف يثير اهتمام الناس. وسوف يجتمع المصورون والمراسلون من أقطار العالم ليتابعوا الحدث».

سألت الكسا بخبث: «أليس هناك حرية للصحافة في داسيا؟».

أطلق لوكا ابتسامة ضيقة وهازئة: «إن ابناء شعبي معتادون عليّ أكثر مما اعتاد شعب ايليريا على ألكس. فهم يسمحون لي بحياة خاصة، ولا يتدخلون في شؤوني».

كان رأس الكسا يدور باضطراب، لكنها تمكنت من التحرك نحو النافذة، لتفتح الستائر وتحدق إلى الحديقة الخلفية. قالت بغموض: «لم أكن... إنه لمن المسلم به أنك تنتمي إلى عائلة مالكة. أما أنا، فلم أكن أتوقع أن أجد أصولاً مشابهة في عائلتي! لا أدري إن كنت أود أن ألتقي ذلك الرجل المسمى عمي».

قال لوكا ببرود: «هذا القرار يعود لك وحدك».

لباقته الباردة أجفلتها، وجعلتها تتصرف بطيش. فأدارت رأسها متجاهلة نبضات قلبها المتسارعة، لترفع حاجبيها بسخرية: «ما من عملية

اختطاف جديدة لوكا؟».

وفجأة ساد التوتر في المكان. كان عليها أن تدرك أنه من غير المجدي أن تحاول اختراق سيطرته على ذاته.

قال لوكا بجفاء من دون أن يتحرك من مكانه: «لم أشأ أن احتجزك، لكن لم يكن بإمكاني تركك حرة. فلدي قريب مغامر، وقد سافر إلى سانتا روزا على متن سفينة محملة بالتجهيزات الطبية، فانكشفت هويته واحتجز هناك كرهينة».

ـ لماذا؟

أسدلت الكسا الستائر، واستدارت نحوه، بينما راحت يداها ترتجفان فجأة: «يبدو أني صرت أقول لماذا بعد كل كلمة. ماذا حصل؟.. هل هو بخير؟».

هز لوكا كتفيه: «نعم، عندما قلت لك إن حياة أشخاص ستكون في خطر إن لم تلزمي الصمت، كانت حياته إحداها. لقد استخدموا قريبي ليضغطوا عليّ لكي أعمل من أجلهم سراً».

ابتسم ابتسامة قاسية وأضاف: «عندها ذهبت للتفاوض مع الميليشيات المتحاربة».

شعرت الكسا بالرعب، فشهقت: «ذهبت إلى سانتاروزا بعد أن غادرت الشاطىء؟ غامرت بالذهاب أثناء اشتعال الحرب المدنية؟».

قال وهو يراقبها بعينين كهرمانيتين باردتين: «كان ذلك ضرورياً».

ـ كان يمكن أن تقتل هناك؟

ـ كانوا بحاجة إلى أن يطمئنوا.

وكأن الكلمات كانت تنتزع منه انتزاعاً، قال: «يمكنني أن أفهم الذين لا يثقون بأحد، حتى بقادتهم».

كانت الكسا تحبس أنفاسها: «أعرف ذلك».

ـ كان زواج والديّ صعباً. نشأت وأنا أعلم أن أمي ليست من داسيا، وأن اهتماماتها تعود إلى مكان آخر. وقد علمني ذلك ألا أثق بأحد إلا

بنفسي.

ذلك الإحساس بالتأرجح وكأنها على حافة الهاوية أخذ يزداد فقالت: «آسفة جداً».

ـ لم يكن أي منهما يرغب بذلك الزواج. لقد أرغم كلاهما عليه، وعاشت أمي كأنها جاسوسة ورهينة في الوقت نفسه. إنما كلاهما أحبني.

قالت الكسا بتردد: «أظن أن حياتهما كانت جحيماً».

ـ أصبحت أسوأ حين قرر والدي أنّ عليّ أن أتدرب على واجباتي كحاكم. فحذّرني بوضوح من أن أخبر أمي ما أتعلمه.

كان صوته بارداً، أكثر من تلك النار المتجمدة بين رموشه: «وبدأ تدخّل الصحافة في حياتي عند بلوغي الثامنة عشرة من عمري، فصرت كأنني أعيش في سبرك. منذ ذلك الوقت صرت أحتقر كل الصحفيين والمصورين. الكسا، لم أجرؤ يوماً على إخبارك بما يحصل. إن افشاء خبر محادثات السلام كان ليفسد كل العملية ويؤدي إلى موت قريبي».

للمرة الأولى، راح لوكا يكشف لها شيئاً من ذاته، وكانت الكسا تقدر كل كلمة يتفوه بها، ولو أن تعاطفها معه آلمها.

تعمدت الابتسام، وقالت بمرح: «في البداية، كنت أنوي الانتقام منك. لكن عندما قرأت عن الاتفاق.. حسناً، إن بضع ساعات في الحجز لا تساوي شيئاً أمام مأساة شعب سانتا روزا الذي يعاني منذ وقت طويل. كما أن المكان كان مريحاً».

قال لوكا بحدة كئيبة: «أمي أمضت حياتها محتجزة في مكان مريح جداً. لكن حرمانها من الحرية أودى بحياتها».

قالت الكسا ثانية: «أنا حقاً آسفة».

راحت عيناه القاسيتان تتفحصان وجهها: «نعم. أظن أنك كذلك».

ثم تابع مطلقاً ابتسامة ملتوية: «لقد حصل ذلك منذ زمن بعيد. عندما تأتين إلى داسيا، سأقدم لك ثيلا مناسبة لتحصلي مع عمك على خلوة. لن تحتاجي لرؤيتي على الإطلاق».

وكانت كلماته كافية ليجعلها تدرك بوضوح عدم اهتمامه بها.

أحست الكسا بطعنة في الصميم، فقالت: «لا يمكنني الذهاب بهذه البساطة، فلديّ عمل».

ـ ألا يمكنك التغيب مدة أسبوع؟ يمكنني القيام بكل الترتيبات، ولن يكلفك الأمر شيئاً.

وأضاف بينما ظهر التوتر على عضلات فكيه: «هذه الرسالة من الكس، ربما قد تقنعك».

وأخرج من جيبه مغلفاً، ناولها إياه، فأخذته الكسا منه، وهي تعض شفتها. فلوكا بالتأكيد لا يحاول اقناعها! فقد ظهرت تلك الحواجز بينهما لتسيطر على المكان.

جاء صوته عميقاً، يحمل لهجة تدل على نفاد الصبر حين أمرها: «اقرئيها».

فتحت الكسا المغلف، وأخرجت الرسالة لتقرأ ما كتبه أمير ايليريا: (عزيزتي الكسا مايتون... زوجتي وأنا نود كثيراً أن نراك. لذا طلبت من صديقي لوكا أن يوصل لك هذه الرسالة القصيرة. إذا كان بإمكانك القدوم لرؤيتنا، فاخبريه عن موعد قدومك، وأنا سوف أؤمن لك بطاقات السفر. لأسباب جليلة أطلب منك ألا تخبري أحداً بالأمر، باستثناء من تثقين بهم).

رفعت الكسا بصرها لتنظر في العينين الجامدتين: «لماذا أنت؟ إنها مسافة بعيدة من داسيا إلى نيوزيلاندا».

ـ ليست بعيدة جداً عن آسيا، حيث كنت في الأسبوع الماضي. أما بالنسبة لقدومي.. فغلطة مني جعلت جزءاً ـ ولو يسيراً ـ من حياتك الخاصة ينشر في الصحف. وبعد أن ناقشنا الأمر، قررنا أنك قد تفضّلين أن تسمعي الخبر من شخص تعرفينه.

أتراه أخبر أمير ايليريا بما حصل بينهما قرب حوض السباحة؟ ألقت الكسا نظرة سريعة على وجهه الجميل الشديد الانضباط، فأحست بارتجاف في داخلها جعل الذكريات تتدافع إلى ذهنها. لمَ تراه يخبره؟ فالأمر بالنسبة

إليه ليس سوى تسلية عابرة. وكلما أدركت ذلك بسرعة، وتخلت عن أحلامها المثيرة للشفقة، كلما كان ذلك أفضل لها.

قبل أن تتمكن من الرد قال لوكا: «سأتركك الآن لتفكري بالأمر. سأغادر إلى سانتاروزا بعد ساعة، لكني سأتصل بك غداً في الثامنة صباحاً».

ابتسم لها ابتسامة فيها مزيج من التسلية والسخرية، لكنها خالية من حس الدعابة: «حتى لو قررت عدم الذهاب إلى داسيا، فهذه لن تكون النهاية. ألكس رجل ذو تصميم، ويريد أن يراك».

بعد أن أغلقت الباب خلفه، أحست الكسا بدوار لرؤية لوكا مرة أخرى. إلا أن الجليد الذي كان ينمو في داخلها منذ غادرت الجزيرة، بات الآن أكثر ثقلاً.

كان موقف لوكا واضحاً. إنه لا يريد أي اتصال بينهما. بدا متعباً، فقسماته القوية بدت أكثر بروزاً، وتلك الطاقة التي كانت تتدفق منه بدت أقل توهجاً. لكن من البلاهة أن تهتم لذلك.

أمضت الكسا بقية ليلتها مستلقية في الظلام، لا يغمض لها جفن، تستمع إلى ضجيج الشارع. ليست بحاجة لأن تفكر بالأمر... فهي تعرف ما سيكون ردها.

لقد أمضت شهرين وهي تحاول اخراج لوكا من رأسها، ولم تنجح قوة إرادتها في حملها على نسيانه. والآن ها هي الفرصة أمامها فقد تؤدي مواجهة الواقع المؤلم إلى تحقيق هذا الأمر.

يبدو أن أميرته تنتقي جهاز عرسها من باريس، ويحتمل أن يكون التعب البادي على وجهه ناتجاً عن الإرهاق بسبب مغامراته العاطفية. بالنسبة لألكسا، لم يكن لوكا أبداً أميراً، بل مجرد رجل. ولا بدّ أن رؤيته على حقيقته ستجبر قلبها المتيم على أن يدرك مدى سخافة آماله. وربما أدى لقاؤها بأسرتها إلى تخفيف ذلك الحزن المقيم والموجع، وذلك التوق إلى أمر لن يتحقق أبداً، مع رجل لم يحبها يوماً.

* * *

١٠ ـ في عرين الأسد

بعد مرور شهر، كانت الكسا جالسة في الطائرة المتوجهة إلى داسيا. عندما ذهبت لتدفع ثمن بطاقتها، اكتشفت بأنها مدفوعة سلفاً. وعندما صعدت على متن الطائرة، وجدت أن لوكا أو ربما عمها المجهول حجز لها في الدرجة الأولى. أيا كان من قام بذلك، فسوف ترد له المبلغ، ولو أدى الأمر إلى إفلاسها.

كانت تشعر بغثيان في معدتها، هو مزيج من التعب والحماسة. راحت تحدّق من عبر النافذة. بدت داسيا من الجو لوحة مرسومة باللونين الأخضر والأبيض في وسط البحر المتلألىء.

ابتلعت الكسا ريقها بصعوبة، وحملت حقيبة يدها وسارت خلف بقية الركاب باتجاه باب الخروج. وإذا بصوت يسألها: «آنسة مايتون؟».

نظرت الكسا إلى المرأة الشابة المبتسمة التي بادرتها بالكلام، وأومأت مؤكدة: «أنا الكسا مايتون».

ـ أنا لوسيا باغاتون. جئت لاستقبالك، أرجو أن تتفضلي من هنا.

تبعتها الكسا عبر أحد الأبواب إلى ردهة صغيرة خاصة. وما إن وصلت حقائبها، حتى انطلقتا عبر باب آخر إلى حيث كانت السيارة بانتظارهما. وسرعان ما شعرت الكسا بحرارة الشمس القوية، ورائحة البحر الممزوجة برائحة وقود الطائرات الحادة.

كان زجاج السيارة المعتم يحميهما من نظرات المارة. غرقت الكسا في مقعدها إلى الخلف، بينما كانت السيارة تنطلق بعيداً عن المطار.

أصغت إلى محدثتها وهي تشرح لها عن بساتين العنب وحقول الزيتون. من الواضح أن لوسيا باغاتون، والتي يبدو أنها قريبة لوكا، لم تكن تنتظر منها رداً على حديثها. لكن ما إن أظهرت الكسا إشارة تعجب، ومالت في مقعدها لتحدق في مبنى عسلي اللون، حتى قالت مرافقتها: «هذه كنيسة تعود إلى العهد الروماني الأول، وقد تم بناؤها قبل أكثر من ألف سنة. إنها جميلة، اليس كذلك؟».

قالت الكسا: «لم أرَ في حياتي مبنى بهذا القدم».

فقالت لوسيا باغاتون: «لدينا هنا العديد من الآثار الرومانية واليونانية، ربما تودين رؤية بعضها».

قالت الكسا بحذر: «عذراً، لكن هل أنت إحدى قريبات... أمير داسيا؟».

بادلتها لوسيا باغاتون ابتسامة حذرة، قائلة: «هناك قرابة بعيدة بيننا. أنا أعمل لديه كسكرتيرة علاقات عامة في المناسبات».

انعطفت السيارة في طريق أقل اتساعاً، إلى أن توقفت أمام بوابة حديدية مزخرفة بإتقان. أطلق السائق زمور السيارة، فانفتحت البوابة على مدخل يقع بين جدران عالية ذات لون برتقالي مبهج.

قالت محدثتها: «ها هي الڤيلا التي فكر لوكا أنك ستحبين الإقامة فيها».

بعد أن أشرفت المرأة على نقل حقائب الكسا إلى غرفة، تتسلل إليها أشعة الشمس الغاربة، وتطل على البحر، استدارت وقالت لألكسا: «تمتعي بإقامتك آنسة مايتون. سيقدم العشاء بعد ساعتين، وإذا احتجت إلى شيء اطلبيه من كارلوتا، مدبرة المنزل. أما إذا أردت القيام بجولة، فستسعدني مرافقتك إلى اللقاء».

كانت لوسيا لطيفة جداً. لكن الكسا شعرت بثقل الحواجز بينهما. أهذه سمة مميزة في الأسرة، أو ربما تكون تلك القريبة على علاقة حب بلوكا؟

ـ شكراً لك.

قالت الكسا ذلك بابتسامة، ما لبثت أن ذبلت وتحولت إلى كآبة بعد خروج محدثتها. جعلها لوكا تفهم بوضوح بأنه لا يريد أن يستأنف أي علاقة بها. إذاً فمن الغباء أن تشعر بأنها مهجورة. قومت كتفيها ونظرت حولها، فتذكرت غرفة نوم أخرى بالقرب من بحر آخر. كلاهما مفروشتان بأناقة، إلا أنهما مختلفتان تماماً. فهذه الغرفة تحمل بصمات حضارة قديمة، بجدرانها السميكة وأثاثها المحفور.

كانت تقاوم شعوراً سخيفاً بالحرمان. أخذت دوشاً في الحمام الرخامي التابع لغرفة النوم. وعندما عادت إلى الغرفة، وجدت أن حقائبها أفرغت، وأن ثيابها رتبت في خزانة ضخمة تفوح منها رائحة اللافندر وإكليل الجبل.

تلك الروائح المألوفة أعادت الطمأنينة إلى نفسها. استلقت على السرير مستسلمة للتعب الذي تشعر به، متوسلة الهدوء لعقلها، بينما كانت الشمس تتسلل من خلال مصراعي النافذة اللذين تحول لونهما إلى نحاسي متوهج.

كان دماغها يرفض بعناد الاستسلام، مبحراً من جديد في دوامة من الشكوك و الآمال الواهية.

ـ آن لك أن تستفيقي!

صرخت بغضب وهي تتحرك بإعياء فوق الوسائد. لقد أفهمها لوكا بوضوح شديد، بأن كل ما كان بينهما أصبح ميتاً بالنسبة إليه. ولا بدّ أن يصبح كذلك بالنسبة لها أيضاً، لأن التفكير فيه سيكون مضيعة للوقت والطاقة.

سئمت من حماقتها، فقررت النهوض، واختارت تنورة من القطن الناعم مع قميص دون أكمام من اللون الأزرق الباهت نفسه. سرحت شعرها، ووضعت القليل من أحمر الشفاه، قبل أن تنزل الدرج كأنها شخص متسلل ينتهك حرمة الصمت في هذا المنزل الواسع.

لم تحاول الكسا النظر إلى أي من الغرف الأخرى، بل وجدت نفسها

تسير باتجاه الباحة الخلفية للمنزل التي تظللها نباتات زهرية اللون، فأحست بغصة ملؤها الحنين إلى الوطن، جعلت الدموع المؤلمة تنهمر من عينيها.

هدأت من روعها، وتابعت سيرها نحو نافذة واسعة تطل على بستان مليء بنباتات تتدلى كشلال رائع. سحرها هذا المنظر، وإذا بكل حاسة من حواسها متيقظة تنبض بالحياة.

راحت الكسا تمعن النظر إلى الفناء المليء بأشجار النخيل الموزعة في مزهريات ضخمة، وإلى البركة المزدانة بنوافير الماء. لاحظت أن أحدهم قد وضع هناك طاولة لشخصين. وفجأة أخذ قلبها يخفق بقوة داخل صدرها، وأحست بأن الحياة عادت إليها من جديد.

ـ عمت مساءً.

ترنحت الكسا في مكانها، فقد وقف لوكا عند باب المنزل، بطوله الفارع ولونه الداكن. كان يرتدي بنطلوناً مفصلاً بشكل يتناسب مع وركيه النحيلين وساقيه الطويلتين، وقميصاً بيضاء اللون.

شعرت الكسا بارتياح تشوبه السخافة، لأنها قررت ارتداء أجمل ثيابها غير الرسمية. قالت وفي صوتها اضطراب: «عمت مساء».

كما أن ابتسامتها المضطربة لم تفارقها. تقدم لوكا باتجاه الباحة، وتسمرت نظراته الذهبية على وجهها ثم قال بلهجة رسمية: «أرجو أن يكون كل شيء كما ترغبين».

لقد أصبح الآن كذلك؛ اقتنعت الكسا بعد مقاومة عنيدة، بأنه أياً يكن شعورها نحو لوكا، فهو أكثر من رغبة، وأكثر من إعجاب... إنه أكثر من ذلك بكثير..

لكنها قاومت هذا الشعور الذي قد يورطها: «إن لم أقل إن كل شيء على ما يرام، أكون امرأة صعبة الإرضاء. إن كل شيء رائع. شكراً لك».

وبعد لحظة من التردد سألته: «متى سيحضر.. أمير أيليريا؟».

قال لوكا باقتضاب وبصوت عميق: «بعد غد. فكرنا أنه من الأفضل أن نترك لك يوماً كاملاً لترتاحي من تعب السفر».

ثم ضاقت عيناه وهو ينعم النظر إلى وجهها: «ألا يسرّك هذا؟».

فقالت الكسا: «أجل، أجل، هذا جيد. فهذه هي المرة الأولى التي أطير فيها لأكثر من ست ساعات. لكن لا أظنني أخاف الطيران. وأنت ألا ترهقك الرحلات الطويلة؟».

قال لوكا بهدوء: «عوّدت نفسي على النوم أثناء السفر. كما أني أشرب كمية كبيرة من الماء».

فقالت: «هذا يذكرني بأني مدينة لك بتكاليف الرحلة».

كشر قائلاً: «هل يمكننا تأجيل القتال حول هذا الموضوع إلى الغد؟ إنها ليلتك الأولى هنا، وأريدك أن تتمتعي بها».

أجفلت الكسا وقالت: «لم أكن أنوي القتال؟».

ـ انسي الأمر إذاً.

وأمام ترددها تابع لوكا بكسل: «حتى الغد».

وافقت باهمال: «حتى الغد».

أدركت الكسا على الفور، أنه عندما ينظر إليها بهذه الطريقة، تنسى ما يريدها أن تنساه. قال وهو يتقدم نحو الطاولة: «اجلسي واخبريني، كيف كانت الرحلة؟».

فوجئت عندما رأت الطعام الفاخر على الطاولة. وتساءلت عن نواياه، محاولة بصعوبة المحافظة على وقارها. لكنها فشلت، فقد جعلتها الحماسة تشعر بإحساس غائر في معدتها، يتسلل حتى أطراف أصابعها كتيار كهربائي يتحرك وفق قوانينه الخاصة.

كانت السماء مزدانة بالنجوم، والريح تهمس همساً من خلال أشجار الصنوبر.

راحت الكسا تبحث عن شيء تقوله، فسألته عن سانتاروزا. بدأ لوكا يتحدث عن الوضع هناك، وهي تقول في سرّها إنه مسرور دون شك لتجنبه أي حديث شخصي. كانت تصغي إليه بانتباه، فخف توترها قليلاً، وفكرت بيأس أن بأمكانها تمضية الليل بأكلمه وهي تتناقش وإياه بالشؤون العامة.

حان وقت العشاء، فأحضرته مدبرة المنزل البشوشة على عربة، ثم ما لبثت أن اختفت. كانت الكسا تحس بالإثارة فتتلقف بجوع صوت لوكا العميق، وابتسامته الساحرة، وتراقب بلهفة وميض الشموع الذي ينعكس على محياه القوي وجماله الرجولي الأخاذ.

بعد فترة، استلقت الكسا على السرير الضخم في غرفتها، تستعيد شريط أحاديثهما في ذهنها، فأحست بالرهبة لكثرة المسؤوليات الملقاة على عاتق لوكا، متأثرة بقدرته على السيطرة على عالم الأعمال ومعجبة بقدرته المطلقة على كتمان السر. فهو لم يخبرها بشيء لم يسبق لها أن قرأته أو سمعت عنه في وسائل الإعلام.

بالرغم من حديثه معها في أوكلاند، فهو لا يزال غير واثق بها. ويبدو أنه لم يتمكن بعد من تخطي ما تعرض له منذ الطفولة.

يائسة وتعيسة، راحت الكسا تضرب بقبضتها على الوسادة، ثم دفنت وجهها المحموم فيها.

لكن لوكا لا يزال يرغب فيها، فهو لا يستطيع إخفاء تلك الإشارات الجسدية الصغيرة التي تنم عن مشاعره... كتلك التوترات السريعة في إحدى عضلات فكه، وذلك الإتساع في بؤبؤي عينيه الذي يحولهما إلى جوهرتين ملتمعتين عندما تنظران اليها.

ضغطت بيدها على قلبها الذي تسارعت دقاته، وأمرته بصرامة أن يهدأ، فمهما تكن حساسة لسحر لوكا الرجولي، لا يمكنها الوقوع في حبه. ورغم أن ذكريات علاقتهما لا تزال من القوة بحيث ترسل ردات فعل عنيدة في داخلها، فإن أيّ علاقة معه ستكون كالبركان متفجرة، تكاد توقف القلب. فعلى لوكا ألا يفقد السيطرة على نفسه أبداً... وعليها أن تدرك أن ذلك أفضل لها. فهي لن ترضى بالتأكيد أن تكون مجرد عشيقة له.

قالت وكأنها تخاطب الغرفة الصامتة: «على أيّ حال، هذا أمر تقليدي».

فلوكا لم يقم بمحاولة واحدة للتقرب منها خلال تلك الأمسية..

وتجنب بحذر أن يلمسها، وكان يوجه الحديث ببراعة وبقلب متحجر نحو شؤون غير شخصية. وقد يسخر من فكرة جعلها عشيقة له. خاصة وأنّ لديه تلك الأميرة الكاملة، كواجهة ملائمة لمكانته.

أمرت الكسا نفسها: «إذاً، توقفي عن التطلع إلى النجوم. واخلدي إلى النوم».

وما لبث أن غلبها النعاس، فغطت في نوم عميق.

استيقظت في الصباح وهي تشعر بجفاف في فمها، وبصداع خفيف في رأسها وبتصلب في عضلاتها، فقد اكتشفت أنها لم تتحرك في سريرها طيلة الليل. تمطت وترنحت قليلاً وهي تغادر السرير. فتحت النافذة وابتسمت لرائحة الصنوبر الذكية، ومنظر الشمس وهي تتهادى فوق البحر.

ارتدت الكسا ثيابها بسرعة والتقطت آلة التصوير، وراحت تركض على الدرج لتلتقط صوراً رائعة. فهي لن تعود إلى هذا المكان ثانية، وتريد أن تطبع في قلبها كل لحظة من لحظات إقامتها فيه.

عادت إلى الڤيلا بعد ساعة. كانت ثيابها مغطاة بالرمال لكنها شعرت بالسعادة. فقد التقطت صوراً عديدة للبحر والرمال، وللمعبد اليوناني الصغير الرائع الجمال المشيد قرب الشاطىء.

وقبل أن تأخذ حماماً، سألت مدبرة المنزل إذا كان بإمكانها الإتصال بلوسيا باغانون. ومع أن المرأة المسنة تتكلم الانكليزية بشكل جيد، إلا أنه يبدو أنها أساءت فهم ما قالته الكسا. فبعد ساعة، لم تكن قريبة لوكا من حضر إلى الڤيلا بل هو نفسه.

ـ أوه، أنا لم أقصد..

توقفت الكسا عن متابعة حديثها أمام ابتسامته الرائعة، تاركة الكلام يجيش في دمها. وقالت بمرح: «آسفة... أردت القيام بجولة، لذا طلبت من كارلوتا الإتصال بلوسيا لتتدبر الأمر. لم أقصد أن أعطلك عن واجباتك».

ابتسم لوكا وهو ينظر إلى وجهها المجفل. وقال: «ليس لدي أيّ

واجبات حتى ساعة متأخرة».

راح قلبها يرقص من الفرح، وقالت بلهجة متآمرة: «هل تتهرب من واجباتك؟».

ابتسم ابتسامة عريضة قائلاً: «أنا لا أمضي كل ساعات النهار في ممارسة المسؤوليات. أين تودين الذهاب؟».

لاحظت الكسا أنه يرتدي ثياباً غير رسمية ومناسبة للقيام بجولة، وبدا لها الأمر وكأنه هدية من السماء. فاقترحت بنبرة مفعمة بالأمل: «تحدثت قريبتك لوسيا عن آثار عديدة».

ثم تابعت متظاهرة بالرصانة: «أظنها تعتبر تلك الكنيسة الرائعة التي تعود إلى عصر النهضة حديثة بعض الشيء لتستحق الإعجاب. لم أحاول مناقشتها في الأمر».

في وقت لاحق من النهار، فكرت الكسا حالمة بأن هذا الوضع يناسبها تماماً، فقد اصطحبها لوكا لرؤية القناطر الرومانية، قبل أن يقودها عبر التلال إلى حيث تناولا الطعام في الهواء الطلق. كانا يتحدثان وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن طويل، متجاهلين تلك الجاذبية الخفية بينهما، والتي تختبىء وراء كل كلمة وكل نظرة. كما اصطحبها لوكا عبر حقول الزيتون الفضية إلى مغارة كان يأوي إليها السكان الأصليون للجزيرة.

سألت الكسا وهي تنظر إلى الصخرة الضخمة: «إلى متى يعود تاريخها؟».

هز لوكا كتفيه: «ربما إلى ثلاثة آلاف سنة».

قالت وهي تشعر بالروعة: «إنها قديمة جداً».

ـ إنها من أقدم الآثار على هذه الجزيرة.

ثم نظر إلى ساعته قائلاً: «من الأفضل أن أعيدك إلى المنزل، فلدي اجتماع بعد نصف ساعة».

لم يكونا قد شاهدا سوى قرية واحدة.. لكن لوكا قادها في طريق العودة عبر مدينة صاخبة مزدهرة ما زالت تعج بالسياح. مالت الكسا إلى

الوراء وهما يمران أمام مبنى ضخم يقع قرب المرفأ وقالت: «هذا المبنى يبدو قديماً أيضاً».

قال لوكا باقتضاب: «إنه قصر يعود إلى عصر النهضة».

هالتها ضخامة القصر وأبّهته، فقالت: «يبدو من الحراسة حوله أنه المكان الذي تعيش فيه».

أجاب ببرود: «إنه المقر الرسمي. لكني أمضي معظم أوقاتي في منزل مريح آخر أصغر منه بكثير، يقع على بعد بضعة أميال خارج المدينة».

التزمت الكسا الصمت. لقد حاولت طيلة النهار أن تنسى أن لوكا هو حاكم هذه البلاد، لكن ذلك القصر الكبير الذي يشرف على المدينة جعلها تتذكر بعد المسافة بينهما.

أوصلها لوكا إلى مدخل المنزل وقال: «سأراك في المساء».

منحته ابتسامة شاحبة، قائلة بهدوء: «شكراً لك على هذا النهار الرائع».

صعدت الكسا الدرج ببطء. وبينما كان الوقت يمر بليداً في غرفة نومها الحارة بعد ظهر ذلك اليوم، لم يخطر ببالها مطلقاً ما سيحصل معها. لكن ما إن وصل لوكا ذلك المساء حتى حصل شيء ما في أعماقها.. وفهمت. لا يهمها ما قد يحصل، فسوف تمضي بقية حياتها بانتظار لوكا لأنها تحبه. إنها مثل جدتها، أحبت رجلاً لن يكون لها أبداً. جدتها حصلت على الأقل على الحب مقابل حبها، وإن كان سريع الزوال. لكنها لن تفكر بهذا الأمر الآن.

لم تحاول مطلقاً أن تخفي ابتسامتها. نهضت من مكانها وتوجهت نحو لوكا. كانت تنورتها الطويلة تتراقص كالحلم حول ساقيها.

بادرته قائلة: «مرحباً. كيف كان الاجتماع؟».

جمد لوكا في مكانه وراح ينظر في عينيها. وكانت الكسا تعلم ما يراه فيهما.. حرك جفنيه، إنما متأخراً، ليخفي بريقاً سريعاً ذهبي اللون في عينيه. قال لها بتمهّل: «كان طويلاً جداً».

أحست الكسا بالارتعاش فهمست بصوت منقطع: «نعم».

تراجع لوكا إلى الخلف. وخطر لها أنها محاولة رفض بارعة، لكنها مع ذلك تبقى رفضاً.

قبلت بها الكسا، وأجبرت نفسها على الابتسام ثم سارت مبتعدة عنه. نظرت من فوق كتفها لتقول: «سررت جداً لأنك تمكنت من التفرغ من أشغالك اليوم، فقد كان يوماً رائعاً».

راح لوكا يراقبها بعينين شبه مغمضتين، ويتأمل ملامح وجهها وتفاصيل جسمها الرائع. كان شعرها يتطاير حول وجهها، ومشيتها الصامتة تثير أحاسيسه بعنف.

قال وهو يتبعها: «أنا لا أمضي كل أوقاتي في اجتماعات رسمية».

ورغم أن جسده يضج بجوع شديد لكل ما فيها، إلا أنه سوف يثبت لها هذه المرة أن بإمكانه السيطرة على نفسه من دون مشقة.

رمقته الكسا بنظرة سريعة وهو يسير باتجاهها عبر الباحة، ورأت الصد واضحاً في وجهه، فتلك الملامح تبرز فيه كقناع ينبيء بالاعتداد بالنفس.

لم تكن بحاجة لتذكير نفسها بقدرة لوكا على ضبط نفسه والتي لا يضاهيه فيها أحد. فعلى الرغم من إحساسه القوي بها، إلا أنه لم يظهر أيّ انهزام.

ظهر حبها الجارف جلياً أمامه، فقد باتت تشعر بأن الحب بالنسبة إليها حاجة كحاجتها إلى الهواء.

تابعت الابتسام ثم قالت: «إذاً سيحضر عمي وزوجته غداً. هل سيمكثان هنا؟».

ـ إذا كان هذا يناسبك.

قالت بصورة آلية: «بالطبع يناسبني».

ـ اقترح الكس أن يمكثا ثلاثة أيام.

فقالت الكسا بوقاحة: «إنها مدة كافية. فإذا كرهنا بعضنا، بإمكاننا التصرف بتهذيب مدة ثلاثة أيام».

... وبعد ذلك تعود إلى ديارها، فبطاقة سفرها مفتوحة ويمكنها

استخدامها في أي وقت. قال لوكا بثقة: «لن تكرها بعضكما البعض».

أملت أن يكون لوكا على صواب، فسألته باندفاع: «كيف هو أمير ايليريا؟ أعني، أنا أعلم أنه فاحش الثراء، وأعرف قصة هروبه الرومنسية إلى استراليا. لكن كيف يبدو كإنسان؟».

أجابها على الفور: «إنه شخص رائع».

إن كلمة رائع تبدو مناسبة تماماً لوصف الرجل الذي تفوه بها، مما جعل الكسا تطلق شبه ضحكة لتقول: «كلمة مختصرة لكل سؤال».

فرد لوكا بجفاء: «سوف تحبينه».

ـ آمل ذلك.

راحت تحملق في الرمال المترامية أمامها، وهي سجينة أحاسيسها العاتية التي لا تقاوم، والتي كانت تندفع بقوة طيلة ذلك اليوم الساحر. فقالت على نحو مفاجىء: «إنه مكان جميل».

ـ هل هو بمثل جمال نيوزيلاندا؟

اشتمت الكسا في كلامه رائحة التهكم، لكنها قالت: «لكل مكان جماله الخاص. فهذا المكان يبدو جميلاً جداً من الطائرة. كنت أظن أن الجو هنا جاف وقاس، لكنني فوجئت بكثافة الغابات».

قال لوكا بهدوء: «كان أبي يغرس الأشجار».

نظرت الكسا حولها: «وهذا المكان بالتحديد، ساحر جداً».

فقال: «كان المكان المفضل عند أمي».

وانتقل فجأة إلى موضوع آخر: «أعتقد أننا سنتناول الطعام، بالقرب من الشاطىء».

سارا جنباً إلى جنب، دون أن يلمس أحدهما الآخر، عبر الحديقة الممتدة أمام المعبد الصغير، وهما يراقبان انسحاب آخر خيوط أشعة الشمس.

كانت كارلوتا قد وضعت المائدة بالقرب من الأعمدة، لكن عوضاً عن الأواني الفضية والكريستال التي وضعتها الليلة الماضية، استعملت هذه الليلة الخزف الصيني والزجاج. كما وضعت شمعدانين طويلين يحملان

شموعاً مضاءة.

قالت الكسا بمرح: «قد يبدو ذلك جهلاً مني. لكن بالمقارنة مع ذلك المعبد الرائع المبني فوق التلال، يحتاج هذا المعبد الصغير للكثير ليبدو أصيلاً مثله».

ابتسم لها لوكا: «إن نظرتك ثاقبة، فهذا المعبد صورة طبق الأصل، لكن تنقصه روح المعبد الأصلي. فمنذ مئة وخمسون عاماً قرر أحد أجدادنا الرومنسيين أنه من المناسب بناء معبد لإيروس».

نبرة الإستخفاف في صوته جعلتها تصاب بقشعريرة. فقالت: «إنه مبنى صغير وفاتن».

وراحت تسأله عن تاريخ داسيا، فأخبرها خلاصة ذاك التاريخ الكئيب والدامي في أغلب الأحيان. لكن، وبالرغم من أنها وجدته آسراً إلا أنها فضّلت استعادة أحاديثهما الحميمة المليئة بالأحاسيس.

فلوكا الذي يتكلم الآن هو لوكا الأمير، صاحب السطوة، الحازم... والساحر! سيد حياته.

وبالرغم من احترامها لشخصيته هذه وإعجابها بها، إلا أنها وقعت في حب ذلك الرجل الذي كانت تواجهه بشراسة، والذي ترك في قلبها أثراً لا يمكن لأي رجل آخر أن يمحوه.

تقبّليه كما هو، قالت لنفسها بصمت، وهي تراقبه من خلال رموشها المسبلة. فأنت واقعة في حبه، ولن تعود الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً في حياتك على الإطلاق.

* * *

١١ ـ مبارزة حب

كمبارز يتهيأ لأخطر مبارزة في حياته، رفعت الكسا كأس العصير لتخفي تعابير وجهها، ثم وضعته دون أن تشرب منه رشفة واحدة.

وكذلك فعل لوكا.. أتراه يفكر فيها كغنيمة لهذه الليلة، أم كامرأة كان يمكن أن يقع في حبها لولا التربية الصارمة التي نشأ عليها، مما جعله يفقد ثقته بالآخرين إلى الأبد؟

أشارت الكسا إلى داخل المعبد، وقالت عرضاً: «هل أرى هنا مكبرات صوت؟».

أجاب لوكا بنبرة مشابهة لنبرتها: «هل ترغبين بسماع الموسيقى؟».

قالت ببطء: «أعتقد أني أود ذلك».

ثم أضافت بنبرة مبحوحة رقيقة: «أريد موسيقى جيدة للرقص».

كان ذلك تحدياً مباشراً. قامته المديدة المتناسقة جعلتها تشعر بالقشعريرة على امتداد عمودها الفقري. كان صوت تنفسها يهمس بين شفتيها المتباعدتين، بينما كان يسير بخطواته الواسعة بين الأعمدة نحو المدخل المعتم.

أحست بشيء ما في حركاته، يذكرها بصياد قوي مفترس، سيد يبطش بكل ما يقع تحت يديه.

ما هي إلا لحظات حتى انبعثت في الأجواء الدافئة موسيقى الجاز المغرية. موسيقى تغري بالرقص... والحب.. وأصابتها قشعريرة،

فسارت باتجاه حافة الباحة، وراحت تنظر إلى عتمة البحر.

ـ الكسا.

استدارت بصمت، وعيناه منخفضتان، إلا أن لوكا لم يكن ليدعها تتمادى في موقفها السلبي. وإذا بأصابعه النحيلة تلامس ذقنها، بينما راح يتفحص وجهها بدقة.

ظلا صامتين. والتقت عينا الكسا بعينيه القاسيتين بوقار، إلى أن... أخذها بين ذراعيه.. بعد ابتسامة ساخرة. بالكاد كانا يتلامسان، ودون أن ينطقا بكلمة راحا يرقصان. كان لوكا يتحرك مع الموسيقى بمهارة، تجتاح كل شيء.

استسلمت الكسا لانفعالاتها العنيفة، فاستندت باستسلام إلى كتفه، فيما لفّ ذراعيه حولها بقوة ووضع خده على رأسها.

سألها لوكا بصوت تتخلله نبرة خشنة: «هل تحبين هذه الموسيقى؟».

فغمغمت: «إني أعشقها».

وهمس قلبها: أعشق الرقص معك، أعشق كل ما يتعلق بهذه الليلة، أعشقك...

عطر قوي لزهرة مجهولة، وقع أقدامها الخفيف على البلاط الصخري وصوت الموسيقى الكئيب والمثير... كل ما حولهما يتكامل مع سعادتها اللامتناهية بالرقص مع لوكا..

قال لوكا بصوت خفي: «إذاً، لدينا شيء مشترك».

احتفظي بهدوئك، قالت الكسا لنفسها، وهي تكافح لتحافظ على حنكتها. وأجابت: «لا بد أن يكون بيننا أمور كثيرة مشتركة. لكننا لم نكلف أنفسنا عناء البحث عنها».

ارتفع صدره مطلقاً ضحكة خفيفة: «كنا مشغولين جداً بالتقاتل».

ـ أعداء في كل لحظة.

ـ هل تعلمين لماذا؟

حاولت الكسا أن تتظاهر بالتسلية، كامرأة متأنقة ومرتاحة: «حسناً.

أولاً مشكلة آلة التصوير، ثم بعد أقل من يومين حصلت مشكلة الهاتف الخلـ. . .».

التوى فمه الجميل قائلاً: «قبل ذلك، وتحديداً في أول لقاء بيننا كان هناك مفرقعات. . وأسهم نارية. . ودواليب تعذيب. . . كان الارتباك التام القوي. أولئك اللصوص الحقيرين».

ازداد ضغط ذراعيه حولها قليلاً، ليشدها نحوه أكثر. إلا أنه عندما تكلم، جاء صوته بارداً متأملاً: «ماذا حصل لأولئك اللصوص الذين حاولوا الاعتداء عليك في تلك الليلة؟».

أجابته الكسا: «لقد تم القاء القبض عليهما».

أحست كل خلية من خلايا جسمها بنشوة، عندما حملها لوكا ليشدها برفق إلى جسمه النحيل، تفاديا لاصطدامهما بأحد الأعمدة البيضاء. غمرتها ذراعاه الملتفتان حولها، وحرارة جسمه وعطره الرقيق. . . ورجولته التامة. . . بالدفء.

نظر لوكا إليها، فيما قسا وجهه المستبد مظهراً ابتسامة ساخرة: «كنت مزعجة جداً».

ـ كذلك أنت! ومتعجرف أيضاً. .

فقال معترفاً: «بالغت في أفعالي، لأنه لم يكن بإمكاني أن أخاطر بتركك حرة».

أومأت الكسا: «أعلم ذلك».

ـ لم يكن يجدر بي أن أعانقك.

كان نسيم البحر المشبع بالملح يدغدغ ذراعيها، فشعرت الكسا بالقشعريرة وسألته بتوتر: «إذاً لمَ فعلت ذلك؟».

جاءت ابتسامته الهازئة مرتبكة: «لأني ببساطة لم أتمكن من ضبط مشاعري. مع أن جزءاً متشائماً من عقلي تساءل إذا ما كنت ستستغلين المسألة لتنشريها لاحقاً في الصحف. لقد سحرتني هاتان العينان القاطعتان كالألماس وكنت أرغب فيك أكثر من أي شيء آخر».

أخذت موجات من الحرارة تجتاح جسد الكسا من دون وعي، مغرقة كل ما هو عقلاني ومنطقي فيها. قال لوكا: «وبالرغم من أنك كنت تظهرين الغضب، إلاّ أنك تجاوبت معي تماماً».

تجمدّت الكسا ورفعت ذقنها نحوه. فتابع كلامه ببرودة: «في الماضي، اكتشف والدي أنّ المرأة التي وقعت في حبها للمرة الأولى، هي مراسلة لإحدى الصحف. كانت تكبرني سناً. وكل ما كان يهمها هو أن تجني مالاً من مغامرتها معي. وعندما قطعت علاقتي بها، قامت ببيع قصتنا لقاء مبلغ ضخم من المال. كنت يافعاً وغبياً، لكن هذه التجربة عززت في نفسي نصيحة والدي، بألا أثق بامرأة على الإطلاق».

قالت الكسا: «كان والدك على خطأ».

ـ أعرف ذلك منطقياً، لكنني ما زلت أؤمن به عاطفياً.

ولكي تخفي مدى تعاستها، قالت بسرعة: «عندما قرأت عن معاهدة السلام، غفرت لك كل شيء، تقريباً. . .».

أمسك لوكا بيدها ليبعدها قليلاً عن صدره، ضاحكاً: «أيتها النمرة».

وانحنى يعانقها، بينما قبضته الضخمة لا تزال ممسكة بيدها.

ومع أنه أبدى انفعالاً عاطفياً، إلا أن الكسا شعرت بأن قوة إرادته لا تزال تغلق الأبواب دونها. رفعت رموشها عندما رفع رأسه. كان فمه مشدوداً، وهو يراقبها بعينين متوهجتين.

حرّكها مزيج من الغضب والشوق والألم، فقررت الكسا أن تُفقد لوكا هذه القدرة الملكية على السيطرة على ذاته.

دنت منه أكثر، فأزالت استجابته اللاإرادية آخر ذرة من التردد لديها.

مررت يدها على خده قائلة: «لوكا».

ومع أنه حلق ذقنه حديثاً، إلا أنها شعرت بوخزة خفيفة تحت لمسة أصابعها. قال لوكا بصوت أجش: «الكسا».

ظل متماسكاً وسألها: «ماذا تريدين؟».

نظرت إليه بعينين ضيقتين وقالت: «ألا يمكنك أن تحزر؟».

www.elromancia.com

اتسعت عيناها حين رأت تلك المشاعر البائسة تتآكله بقوة، فأدركت عندئذٍ خطورة اللعبة التي تلعبها. . فأحست بشيء من الخجل لأنها تدفعه لفقدان السيطرة على نفسه.

حاولت الكسا أن تتركه يبتعد. لكن الأوان كان قد فات، فقد اشتدت ذراعاه حولها وأذعنت له الكسا برقة.

لم يكن لدى الكسا فكرة كم من الوقت مضى عليهما متعانقين، لكن خطر لها أنها الوحيدة التي تشعر بالحب.

وأخيراً، ابتعد لوكا قائلاً بهدوء: «عندما ذهبت أساساً إلى نيوزيلاندا، كنت أخطط للزواج بامرأة».

شعور خفي بالخجل تملكها. كلا، إنها تعتقد، كلا. . . كلا. .

لكن عليها المواجهة وسوف تفعل. لقد وعدت نفسها بأن تتصرف بنضج. سألته بصوت أجش: «ما زلت تنوي الزواج بها؟».

ـ كلا.

أبعد لوكا خصلات شعرها عن وجهها، ونظر إلى عينيها: «حتى بعد أن تقابلنا على الجزيرة، كنت أظن أنني أستطيع أن أكون مثل والدي. استخدم الناس لمصلحة داسيا».

ثم تابع وهو يكبت غضبه: «لم أكن أثق بهذا الإنجذاب العنيف. وفي البداية ظننت أنك إحدى أولئك النساء العصريات، اللواتي يقعن في حب كل رجل يلتقينه. لكن بعد الاستقصاء عنك. .».

انتفضت الكسا كالسهم: «ماذا؟».

ـ كان علي أن أعرف أي نوع من النساء أنت.

تخلل صوته نبرة غطرسة، بينما شدها إليه ثانية: «لقد أسعدني أن أعرف أنك لست من ذلك النوع من النساء».

قالت بنزق: «أنت».

ـ لأنني أملت أن يكون تأثيري عليك، بقوة تأثيرك علي.

ـ كيف تمكنت من معرفة ذلك؟

راح لوكا يضحك، ثم أمسك بها بإحكام ليمنعها من الحراك ويبقيها ملتصقة بجسمه القوي.

جاء صوته منخفضاً وخشناً: «قطتي البرية الجميلة، كنت واثقاً من أن تلك المشاعر الجامحة سوف تختفي ما إن أغادر نيوزيلاندا. لكنك علقت في فكري وذاكرتي، كثمرة برية شائكة ولذيذة. بعد أسابيع من الشوق إليك، فقدت حياتي كل لون وطعم. واقتنعت بأني لست كوالدي، قادر على تقسيم حياتي إلى أجزاء. ولحسن الحظ أني لم أتقدم بطلب الزواج من تلك المرأة التي كنت أخطط للزواج بها».

سألته الكسا بقلق: «هل هي تعيسة؟».

ـ كلا، نحن صديقان. لكن زواجنا كان سيتم كإحدى تلك الزيجات المدبرة التي تعرفين عنها!

بدا لها من المستحيل ألا تقع امرأة في حب لوكا. سألته: «لمَ لم تعد بسرعة إذاً إلى نيوزيلاندا؟».

توقف برهة وقال بتأن: «لم أكن أعرف ماذا أفعل. فأنا لم أجرب هذا الشعور من قبل».

وخمنت الكسا: «وكان يغيظك؟».

ردد بدهشة: «يغيظني؟».

أومأت بقوة: «لقد أغاظني أنا أيضاً. كنت حقاً استمتع بحياتي قبل أن تدخلها أنت، وبعد ذلك أدركت بأن الأمور لن تعود مطلقاً كما كانت عليه سابقاً».

قال لوكا وفي صوته نبرة من الضحك: «إننا شخصان غريبان. نعم، كنت أشعر بالسخط لأنك تستطيعين تحويل حياتي إلى رماد. وعندما أراد الكس أن يقابلك، عرضت عليه خدماتي، آملاً أن أتمكن من النظر إليك بحيادية، كأيّ امرأة جميلة أخرى».

حاولت الكسا الإفلات من سيطرته، قالت وكأنها تشعر بالشؤم: «أوه، وهل تمكنت من ذلك؟».

ضحك لوكا برقة، وأحكم شد ذراعيه حولها، وراح يعانقها بإغراء عذب. ثم قال: «عندما رأيتك ثانية علمت أنك المرأة التي سأظل أحبها إلى آخر يوم من حياتي».

سألته الكسا وهي تكاد تنفجر من الغبطة: «لماذا لم تقل شيئاً يومها؟».

ـ كنت متأكداً من أني جعلتك تحتقرينني إلى درجة يصعب علي معها اقناعك بحبي... وظننت أنّ ما حصل خمد بالسرعة نفسها التي ظهر فيها.

ارتعشت الكسا. وقبل أن تتمكن من الرد، قال بخشونة: «هذا الحب الكبير الذي تمنحينه لي رائع. لكنه غير كافٍ. لذا أخبرتك أنّ أميرة ايليريا لا يمكنها السفر، لكي أقنعك بالمجيء إلى هنا. وعاهدت نفسي على عدم التحرش بك مطلقاً».

قالت الكسا: «أعلم. فقد زرعت حولك إشارات تقول ممنوع الاقتراب».

ضحك لوكا بهدوء: «لكن أنت طبعاً، لم تكترثي بكل تلك الإشارات».

تلاشى غضب الكسا بسرعة، ولم تتمالك نفسها من السؤال: «هل أنت نادم؟».

عانقها لوكا قائلاً: «كيف يمكنني أن أندم، وكل نظرة من نظراتك تحملني إلى الفردوس».

ثم أضاف: «عندما وافقت على الحضور إلى هنا، قررت أن أمنحك الحرية التي حرمتك منها في نيوزيلاندا. لذا حاولت أن أبقى متحفظاً».

ثم ضحك بقليل من السخرية: «لم أتمكن من الصمود أكثر من أربع وعشرين ساعة».

وبسرعة، تلاشت ابتسامته العريضة أمام رنين ضحكتها وقال بنبرة هادئة تخلو من الإنفعال: «الكسا، حبيبتي وبهجة قلبي. هل تقبلين الزواج بي؟».

ترددت قليلاً ثم قالت: «بالرغم من أنني أنتمي إلى عائلة أمير ايليريا.

إلا أني مجرد امرأة نيوزيلاندية عادية».

قال لوكا بصوت خطير: «أنا لا أطلب منك الزواج لأنك قريبة الكس كونسيداين. أريد الزواج بك لأنك أنت. إن الثقة أمر متبادل، أفلا يمكنك أن تثقي بي كفاية لتدركي بأنك أصبحت كل عالمي؟ وأنك المرأة التي تسكن قلبي؟ قبل أن ألتقيك، كنت أشعر بالوحدة. لكني كنت معتاداً على وحدتي لدرجة أني لم ألاحظها. ومنذ التقيتك، ملأت قلبي الخالي بحيويتك واندفاعك وضحكاتك، وإذا لم تتزوجي بي فلن أتزوج مطلقاً».

امتلأت عينا الكسا بالدموع: «أنا أصدق كل كلمة تقولها. وأود الزواج بك من كل قلبي».

ـ هل يعني ذلك أنك تحبينني؟

غمغمت: «بالطبع أحبك. أظن أني وقعت في حبك منذ قامت ساندرا تشامب بتلك الحركة المتملكة الضارية، قبل مؤتمر المصرفيين!».

قرّبها لوكا إليه، وقال بصوت مرتجف: «كنت آمل أن تحبينني بما يكفي لتحتملي مساوىء العيش كسمكة ذهبية في وعاء ماء. فليس عدلاً أن أطلب منك الزواج من دون أن تكون لديك فكرة عما ينتظرك معي».

قالت الكسا بنبرة صارمة ومتجردة: «هذا لا يهم. فكل ما يهمني هو أن أكون بقربك».

لكن ذلك لم يكن صحيحاً، فقد رصدت عينا لوكا الخبيرتان ما يجول في فكرها.

فسألها: «ما الأمر عزيزتي؟ مهما تكن المشكلة، فبإمكاننا حلها. أقسم لك. إذا كنت تمقتين فكرة العيش والأضواء مسلطة عليك، يمكننا بسرعة أن نتحوّل إلى زوجين عاديين ومضجرين للصحافة».

شعرت الكسا بالابتهاج، لكنها قالت: «ليس الأمر كذلك».

ـ إذاً، ماذا هناك؟

سألته بهدوء: «هل تثق بي حقاً؟ أعني بما يكفي؟ لوكا، أنا لا أستطيع العيش في قلق دائم، فأنا أحبك كثيراً، وأريد منك كل شيء».

حبست الكسا أنفاسها. لكن لوكا لم يتردد، وقال ببساطة: «علي أن أثق بنفسي. يبدو أني كنت أثق بك منذ البداية، لكني لم أدرك ذلك».

توقف قليلاً: «كنت واثقاً من أنك لن تذهبي إلى الشرطة لتتهميني باختطافك. وعندما أخبرتك من هو والدك، لم أسأل نفسي إذا ما كنت ستستغلين هذه القصة للحصول على المال. لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً. فالثقة إذاً موجودة حبيبتي منذ البداية، وربما علي أن أطلب منك المغفرة لأني شككت بوجودها».

أنفرجت أسارير الكسا، وقالت: «أنا مسرورة لسماع ذلك».

قال لوكا برصانة: «لا أعدك بأن تكون الحياة معي سهلة. لكني أعلم في قلبي وروحي بأن حبي لك أكيد، وأعدك بأن أهتم بك غاية الاهتمام. لا يمكنني أن أوفر لك حياة هادئة، لكن كل ما يمكنني أن أعدك به هو أن أحبك بكل ما أملك من قوة، وإلى الأبد».

كلماته الصارمة المجردة أقنعتها، فعاهدت الكسا نفسها بأن تجعله سعيداً، وتنسيه معاناة طفولته. رفعت رأسها، وراحت تنظر في عينيه وهي تقول وكأنها تقطع على نفسها عهداً: «وأنا أحبك كثيراً، وأعدك بأن أحبك دائماً إلى الأبد، وبكل جارحة من جوارحي».

عانقها لوكا ثانية مما جعلها تذوب بين ذراعيه.

بعد مضي وقت غير قصير، قال لوكا بتكاسل: «يجب أن نأكل شيئاً، قبل أن تكتشف كارلوتا بأن الحب أفقدنا شهيتنا».

فقالت الكسا: «إنها تعلم ذلك. وإلا فلماذا حضّرت هذا الجو الرومنسي؟».

التمعت ابتسامته كوميض برق في الظلام، وقال بهدوء: «إنك معجزة، لقد عاملتك بالسوء ومع ذلك أحببتني. والآن، تعالي لنتناول الطعام. بعدئذٍ، سأعلم الكس كونسيداين بلباقة بأن لديه عروساً يقدمها لي».

بعد مضي ثلاثة أشهر، كان عم الكسا يرافقها إلى المذبح في تلك الكنيسة الفخمة، التي رأتها على الطريق في يومها الأول في داسيا.

تراجع الكس كونسيداين، أمير ايليريا، مبتسماً وألقى نظرة سريعة على زوجته التي بدا حملها واضحاً الآن، فبادلته ابتسامته بشغف.

رفعت الكسا بصرها لتنظر إلى وجه الرجل الذي أحبته. كانت متألقة في ثوب من الحرير، يشبه تماماً لون بشرتها، وملتفة بخمار كانت أميرة ايليريا قد وضعته خلال زفافها.

قبل نصف ساعة كانت تشعر بالهلع. أما الآن، وأمام دفء تلك الابتسامة التي تخصها وحدها، فقد شعرت بالإطمئنان التام.

حمل لوكا خاتم الزواج الزمردي الرائع ووضعه في يدها اليمنى، فرفعت الكسا يدها اليسرى ووضعت له خاتمه. وسارا معاً باتجاه المذبح، ليقطعا على نفسيهما عهداً لبقية حياتهما.

***